قصص الرسول صلى الله عليه وسلم

الشيخ
محمود المصري أبو عمار

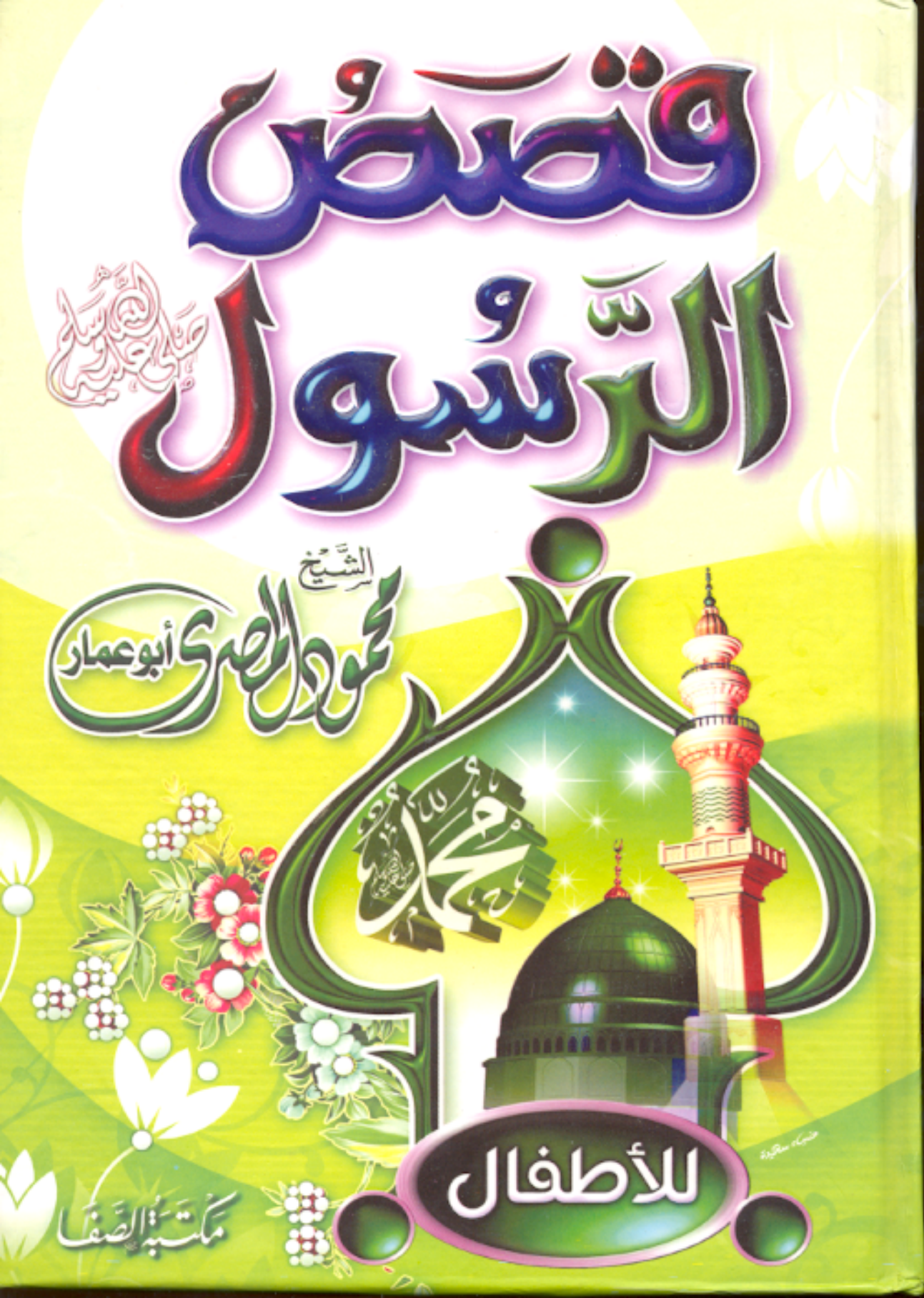

للأطفال

مكتبة الصفا

قصص
الرسول ﷺ
لِلأطفال

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت
السميع العليم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ-٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٤٦٠٠/ ٢٠٠٩

مكتبة الصفا

١٢٧ شارع الأزهر - القاهرة ت: ٢٥١٤٧٣٢٠

١ شارع الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٢٥١٤٧٩٧٤ / ٠١٠١٤٣١١١٤

قصص الرسول صلى الله عليه وسلم

لِلأطفال

الشيخ

محمود المصري

أبو عمار

مكتبة الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصة فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى الأسرة الكريمة الراشدة التى تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة

مقدمة الناشر

والإيثار والتعاون والتقوى: ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع، يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه فى سلوكه الاجتماعى المستقيم.

ومكتبة الصفا تقوم بدورها فى توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائمًا، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث.

ونشر كتب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصرى».

نقدم اليوم دُرة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «قصص الرسول ﷺ للأطفال» لفضيلة الداعية محمود المصرى.

استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم، عن طريق القصص والحكايات.

مقدمة الناشر

وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة التى تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١).

أما بعد:

فإن من أعظم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان (نعمة الأولاد) فهم منحة إلهية وهبة ربانية فهم زينة الحياة وزهرتها وهم أمانة فى نفس الوقت - يجب أن نحافظ عليها - فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(١).

وقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

فالإحسان إلى الأولاد وتربيتهم أداء للأمانة... وإهمالهم والتقصير فى حقوقهم غشٌّ وخيانة.

* ومن المعلوم أن من أكثر الوسائل تأثيراً فى الطفل المسلم: القصة - ولذا نجد كثيراً من المُعلمين كانوا يلجؤون فى الماضى والحاضر للأسلوب القصصى فى توصيل المعلومة للطفل المسلم.. ولكن بكل أسف كان أكثرهم يختارون القصص الغربية التى تدمر الأخلاق والفضيلة فى نفس الطفل المسلم.

(١) سورة التحريم: الآية: (٦).

ونسى هؤلاء أن تاريخنا الإسلامى المجيد غنىٌّ بأحسن القصص الذى يُعلِّم أطفالنا الأخلاق الحميدة والسلوكيات القويمة. . . وعلى رأس هذا القصص قصص الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم سيرة الرسول ﷺ ، ثم قصص الصحابة الأطهار ثم قصص التابعين الأخيار.

* وها أنا الآن أضيف لهذا القصص الهادف «قصص الرسول ﷺ للأطفال».

فالقرآن منهج حياة. . والسُّنة أيضًا منهج حياة ينبغى أن نربى عليه أولادنا.

* وها أنا اليوم أقدم لأبنائى وأحبابى كتاب «قصص الرسول ﷺ للأطفال».

بأسلوبٍ سهلٍ ميسور من أجل أن ينتفعوا به وليتعلموا حُب السنة كما تعلموا حُب القرآن.

فهيا يا أحبابى لنتعايش بقلوبنا مع قصص الرسول ﷺ.

وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

أبو عمار

ملحوظة هامة:

كنت قد أوردت فى كتاب «حكايات عمو محمود» - الجزء الأول - مجموعة من قصص الرسول ﷺ . . ولم يخطر على بالى وقتها أننى سأكتب بعد ذلك كتابًا عن قصص الرسول ﷺ للأطفال. . فلما كتبت هذا الكتاب أردت أن أجمع كل هذا القصص فى كتاب واحد، فأخذت كل القصص الذى ورد عن الرسول ﷺ فى كتاب «حكايات عمو محمود» ووضعته فى كتاب «قصص الرسول ﷺ للأطفال» وبالتالى فسوف أحذف كل القصص الذى أخذته من كتاب «حكايات عمو محمود» فى الطبعة القادمة وسأكتب مكانه مجموعة أخرى من القصص المفيدة للأطفال.

ولقد ذكرت ذلك حتى لا يظن أحد أننى أكرر القصص التى وردت فى كتاب «حكايات عمو محمود» - الجزء الأول - فى كتاب «قصص الرسول ﷺ للأطفال». . . وقد ذكرت ذلك من باب الأمانة حتى أكون قد وضحت الأمر للقارئ الحبيب.

جحود آدم (عليه السلام) ونسيانه

لما خلق الله آدم (عليه السلام) ونفخ فيه الروح عطس آدم بإذن الله (جل وعلا) فقال: الحمد لله.

وإذا بالحق (جل وعلا) يقول له: يرحمك الله يا آدم.

ثم أمره الله (جل وعلا) وقال له: يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإٍ منهم جالسين فقل لهم: السلام عليكم وانظر ماذا يقولون لك.

فذهب آدم (عليه السلام) إلى أولئك الملائكة فقال لهم: السلام عليكم.

فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله.

فعاد آدم (عليه السلام) إلى ربه (جل وعلا) فقال له تعالى: يا آدم هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم إلى يوم القيامة.

ثم قال له الحق (جل وعلا) ويداه مقبوضتان: يا آدم اختر أيهما شئت فقال آدم (عليه السلام): اخترت يمين ربى

وكلتا يدى ربى يمين مباركة.

ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فتعجب آدم (عليه السلام) وقال: أى ربِّ ما هؤلاء؟

فقال الله له: يا آدم هؤلاء ذريتك.

رأى آدم ذريته الذين سيُخلقون من بعده، وقد جعل الله بين عينى كل واحد منهم نورًا، كما رأى عمر كل واحد منهم مكتوبًا بين عينيه، ورأى رجلاً له نورٌ حَسن، فسأل عنه، فأخبره أنه أحد أبنائه سيكون فى أمة من أواخر الأمم اسمه داود، وأن عمره ستون سنة، واستقلَّ آدم عمر داود، وطلب من ربه أن يزيد فى عمره، فأخبره أن ذاك هو العمر الذى كُتب له، فوهبه آدم من عمره ما يكمل به المائة.

ثم أمر الله آدم أن يسكن الجنة ما شاء أن يسكن حتى حدث ما حدث واستطاع إبليس أن يُغويه من أن يأكل من تلك الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها. فلما أكل منها أُخرج من الجنة وأُهبط إلى الأرض هو وحواء وإبليس.

وعاش آدم (عليه السلام) فى الأرض ما شاء الله له أن يعيش... ويظهر أن الله أعلم آدم بعمره المكتوب له، وأنه

سيعيش ألف عام، فلما مضى من عمره ألف سنة إلا أربعين عامًا جاءه ملك الموت ينزع روحه، فاعترض على ملك الموت، واستنكر عليه أن يقبض روحه قبل أن يستكمل أجله، ويبدو أن آدم كان يحسب لنفسه، ويعد سنوات عمره، فذكَّره ملك الموت بما كان من هبته لابنه داود ما بقى له من سنوات عمره، فجحد آدم، وكان جحوده نسيانًا، وورث أبناء آدم صفات أبيهم، فجحدوا كما جحد، ونسوا كما نسى، ولذا أمر الله بالكتابة والشهود، ليواجه بهما جحود الجاحدين ونسيان الناسين[1].

❊ ❊ ❊

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

«لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة، إلى ملإٍ منهم جلوس فقل: السَّلام عليكم، قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم.

فقال الله له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، قال:

(١) صحيح القصص النبوى د. عمر الأشقر (ص: ٢٢) بتصرف.

اخترت يمين ربى، وكلتا يدى ربى يمين مباركة، ثم بسطها، فإذا فيها آدم وذريته، فقال: أى ربِّ!، ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم، أو من أضوئهم قال: يا رب من هذا؟

فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك، يقال له: داود، فقال: ربِّ! كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أى ربِّ! زده من عمرى أربعين سنة، فلما قضى عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولَم يبقَ من عمرى أربعون سنة؟ قال: أوَ لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسى آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته»[1].

❊ ❊ ❊

(١) رواه الترمذى فى كتاب التفسير - وقد دمجت بين الروايتين - انظر صحيح سنن الترمذى (٣٦٠٧) (٣٢٨٢).

الدروس المستفادة:

(١) أن من السُّنة أن الإنسان إذا عطس أن يقول: الحمد لله.. فيقول له من يسمعه: يرحمك الله.. فيرد عليه العاطس: يهديكم الله ويصلح بالكم.

(٢) أن السلام هو تحية المؤمنين منذ خلق الله آدم (عليه السلام) وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(٣) أن المسلم لابد أن يلتزم الأدب مع الله فى أقواله وأفعاله.

(٤) أن الإيثار من أخلاق المؤمنين.. ولقد رأينا كيف آثر آدم ابنه داود (عليهما السلام) ووهبه من عمره أربعين سنة.

(٥) أن إبليس هو سبب البلاء الذى نحن فيه.. فهو الذى أغوى أبانا آدم بأن يأكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها فكان سبب خروجه من الجنة.

(٦) أن الإنسان كثير النسيان.. وقد رأينا كيف نسى آدم (عليه السلام) أنه وهب ابنه داود (عليه السلام) أربعين سنة من عمره ولذلك اعترض على ملك الموت لأنه جاءه قبل انقضاء أجله بأربعين سنة.

محاجة آدم وموسى (عليهما السلام)

جلس النبى ﷺ يومًا مع أصحابه يحكى لهم قصة عجيبة.. فيا تُرى ما هى هذه القصة العجيبة؟

لقد حكى لهم أن موسى (عليه السلام) طلب أن يلتقى بأبينا آدم (عليه السلام) وقد كان هدف موسى (عليه السلام) من وراء هذا اللقاء محاورة آدم (عليه السلام) وتأنيبه على أنه كان سببًا فى إخراج نفسه وذريته من الجنة لما أكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها.

* ولكن ما هو السبب الرئيس الذى جعل موسى مُصرًا على لقاء آدم (عليهما السلام).

نحن نعلم أن الحياة الدنيا تعب وعناء، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى كَبَدٍ﴾[1] ويظهر هذا العناء فى كل أمر من الأمور، فاللقمة التى يأكلها الإنسان لا تأتى إلا بعد عناء، والشربة كذلك، وكذا اللباس والسكن، أضِف إلى هذا ما

(١) سورة البلد: الآية: (٤).

يصاب به الإنسان من الأمراض، وما يكيده به أعداؤه وأصدقاؤه، وقد يأتيه الأذى من أولاده وأقربائه.

وقد عانى موسى ما عاناه من فرعون وحزبه، فقد فرَّ من مصر إلى مدين بعد قتل القبطى، ورعى الغنم هناك عشر سنوات أو ثمانى سنوات، وبعد أن أرسله الله عانى ما عاناه من فرعون، وعانى من عناد بنى إسرائيل وتمردهم وأذاهم، ولعله فى وقت من الأوقات دار فى خلده أن سبب هذا العناء كله كان بسبب آدم الذى أخرج نفسه وذريته من الجنة، فقد أسكنه الله الجنة بعد أن خلقه، وأباح له ثمارها وأنهارها إلا شجرة واحدة، وتعهد له بأن لا يجوع فيها ولا يعرى، وأنه لا يظمأ فيها ولا يَضحى.

فلما عصى آدم ربه، وأكل من الشجرة المنهى عن الأكل منها أنزله الله من دار البقاء إلى دار الشقاء، وأصبح البشر لا يتمكنون من العيش إلا بمعاناة شديدة.

ولذا فإن موسى عليه السلام عندما التقى بأبيه آدم وجَّه إليه اللوم على إخراجه نفسه وذريته من دار النعيم[1].

(١) صحيح القصص النبوى / د. عمر الأشقر (ص ٧١).

* ولقد بدأ موسى حواره مع آدم (عليهما السلام) بكل أدب وتوقير ومحبة فقال له: أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك فى جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض.

وكأنه يريد أن يقول لآدم (عليه السلام): لقد أنعم الله عليك بكل هذه النعم فما كان ينبغى أن تقابل هذه النعم بمعصية الله والأكل من الشجرة التى نهاك الله عن الأكل منها.

* فواجه آدم لوم موسى (عليهما السلام) بلومٍ مثله وخاطبه أيضًا بكل رحمة وأدب ومحبة فقال له: أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء، وقربك نجيًّا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخلق؟ قال موسى: بأربعين عامًا.

قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1] قال: نعم.

قال: أفتلومنى على أن عملت عملاً كتبه الله علىَّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟

وهنا حكم رسولنا محمد ﷺ بأن آدم حَجَّ موسى

(١) سورة طه: الآية: (١٢١).

وانتصر عليه فى هذا الحوار الذى دار بينهما.

فقد وضح له آدم (عليه السلام) أنه وإن كان قد أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها فإن الله لم يخبره بأنه إذا أكل من هذه الشجرة فإنه سيخرج من الجنة.. بل إن الله (جل وعلا) كان من الممكن أن يغفر له هذا الذنب أو يجعل له أى عقوبة أخرى غير الإخراج من الجنة.. لكن الله (جل وعلا) هو الذى قَدَّر أن يجعل العقوبة هى الإخراج من الجنة لحكمة جليلة لا يعلمها إلا الله (جل وعلا).

وبذلك استطاع آدم أن يثبت لموسى (عليه السلام) أنه لم يكن سببًا فى إخراج نفسه وذريته من الجنة.

❊ ❊ ❊

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحجَّ آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذى خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك فى جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟

فقال آدم: أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء، وقربك نجيًّا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخلق؟

قال موسى: بأربعين عامًا.

قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1] قال: نعم.

قال: أفتلومنى على أن عملت عملاً كتبه الله علىَّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟».

قال رسول الله ﷺ : «فحج آدمُ موسى»[2].

* * *

(١) سورة طه: الآية: (١٢١).

(٢) أخرجه البخارى ومسلم.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا بد أن يصدق النبى ﷺ فى كل ما أخبر عنه من أمور الغيب. . فقد أخبرنا النبى ﷺ بهذا اللقاء الذى كان بين آدم وموسى (عليهما السلام) ونحن لا ندرى متى كان ذلك ولا أين كان لكننا نصدق لأن النبى ﷺ هو الذى أخبر بذلك.

(٢) لا بد عند الحوار بين اثنين أن يعرف كل واحد منهما قدر الآخر وفضله وأن يتم الحوار بينهما بكل رحمة وأدب ومحبة.

(٣) أن الحياة كلها تعب وعناء ومشقة. . وأنه لا راحة إلا فى الجنة.

(٤) أن الأنبياء أشد الناس بلاءً.

(٥) أنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بالقضاء والقدر. . وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليُخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

(٦) أن خروج آدم (عليه السلام) من الجنة كان لحكمة جليلة لا يعلمها إلا الله (جل وعلا).

قصة موسى والخضر (عليهما السلام)

قام موسى (عليه السلام) فى يوم من الأيام يخطب فى بنى إسرائيل ليدعوهم إلى الله ويُذكرهم ويرقق قلوبهم بالمواعظ الغالية فكان حديثه شيقًا رائعًا جذب قلوب الناس من حوله.

وبعد أن انتهى من موعظته قام واحد من بنى إسرائيل وسأله: هل هناك على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبى الله؟!

فقال موسى (عليه السلام): لا.

وإذا بجبريل (عليه السلام) ينزل فى تلك اللحظة ليخبر موسى (عليه السلام) بأن الله (عز وجل) يعتب عليه أنه لم يرد العلم إلى الله ويقول: الله أعلم.

ثم أخبره أن الله يقول له: إن عبدًا من عبادى بمكان يقال له: مَجمع البحرين هو أعلم منك يا موسى.

هنا اشتاق موسى (عليه السلام) لرؤية هذا الرجل الذى هو أعلم منه . . واشتاقت نفسه للتزود من العلم، وقال: يا ربِّ كيف أصل إلى هذا الرجل؟ فأمره الله (عز وجل) أن يحمل حوتًا فى مكتل - أى: يحمل سمكة فى سلة - ويسير فى البحر فإذا جاءت اللحظة التى تعود فيها الحياة للحوت ويقفز فى البحر فسوف يجد هناك هذا العبد العالم.

* وانطلق موسى (عليه السلام) بعدما أخذ الحوت فى المكتل وأخذ معه فتاه يوشع بن نون - الذى صار نبيًّا بعد موسى (عليه السلام).

وحمل الفتى السلَّة التى فيها الحوت وانطلقا ليبحثا عن هذا الرجل العالم.

وليس لديهم أى علامة على مكان هذا العالم سوى عودة الحياة للسمكة وهروبها إلى البحر.

* وكان موسى (عليه السلام) عنده عزم وإصرار على أن يصل إلى هذا العالم ولو ظل مسافرًا سنوات طويلة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[1].

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٠).

* المهم أنه وصل موسى (عليه السلام) وفتاه يوشع إلى صخرة كبيرة بجوار البحر وقد تعبا من السفر . . ونام موسى (عليه السلام) وبقى يوشع سهران يحرس نبى الله موسى (عليه السلام).

وفجأة ساقت الرياح موجة عالية على الشاطئ فجاء رذاذ الماء على الحوت فدبَّت فيه الحياة وقفز إلى البحر ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾(١) . . وكانت عودة الحياة إلى الحوت وهروبه إلى البحر علامة أعلم الله بها موسى (عليه السلام) لتحديد المكان الذى سيجد فيه هذا العالم الجليل الذى جاءه موسى ليتعلم منه.

* قام موسى (عليه السلام) من نومه ولم يعرف أن الحوت قد دبَّت فيه الحياة وهرب إلى البحر . . ونسى فتاه يوشع أن يخبره بما حدث.

وسار موسى وفتاه ليلتهما ويومهما حتى إذا كانا من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا فقد شعرت بالتعب الشديد.

وهنا تذكر الفتى تلك اللحظة التى دبت فيها الحياة فى الحوت فهرب إلى البحر وذلك عندما كانا عند الصخرة. .

(١) سورة الكهف: الآية: (٦١).

فأخبر موسى بما حدث واعتذر إليه بأن الشيطان هو الذى أنساه أن يذكر له ما حدث رغم غرابة ما حدث أمام يوشع فقد رأى الحوت يشق الماء فيترك علامة على الماء وكأنه يتلوى على الرمال فيترك عليها أثرًا.

* هنا أحسَّ موسى (عليه السلام) بسعادة غامرة عندما علم أن الحوت هرب إلى البحر؛ لأن معنى ذلك أنه قد وصل إلى المكان الذى يريده ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[1].

وعاد موسى (عليه السلام) وفتاه يبحثان عن المكان الذى هرب فيه الحوت.

وبعد بحث طويل وصل موسى إلى المكان الذى هرب فيه الحوت فى البحر.

وصل هو وفتاه إلى الصخرة التى ناما عندها وهناك وجدا رجلاً مُسجَّى بثوب ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[2].

فسلم عليه موسى (عليه السلام).

---

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٤).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٦٥).

فقال له الخضر: وهل بأرضك سلام؟ .. مَنْ أنت؟

فقال موسى: أنا موسى.

فقال الخضر: موسى نبى بنى إسرائيل.. عليك السلام يا نبى بنى إسرائيل.

ثم قال له الخضر: وماذا تريد منى يا موسى؟

قال موسى: أتيتك لتعلمنى مما عُلمت رشداً.

فقال الخضر: أما يكفيك أن التوراة بيديك يا موسى؟!

ثم قال له: يا موسى إنى على علم من علم الله لا تعلمه أنت .. وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا.

فقال له موسى: هل أتبعك على أن تُعلّمنى مما عُلّمت رُشداً؟

فقال له الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾(١).

أى: أنك ستجد فى تصرفاتى أشياء لا تفهم لها سببًا ولا تدرى لها علّة ولذلك فلن تصبر معى يا موسى.

* فاحتمل موسى تلك الكلمات وعاد يرجوه أن يأذن له بصحبته ليتعلم على يديه، فقال له: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٦٧، ٦٨).

صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾[1].

- وتأمل معى كيف كان تواضع موسى (عليه السلام) للخضر (عليه السلام).

* وهنا اشترط الخضر على موسى (عليهما السلام) شرطًا من أجل أن يكون فى صحبته وهو ألا يسأله عن أى شىء حتى يحدثه هو عنه . . فوافق موسى على هذا الشرط.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[2].

* وانطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر يتكلمان وفجأة مرت أمامهما سفينة، فكلما أصحابها أن يحملوهما، فوافق أصحاب السفينة وبخاصة أنهم عرفوا الخضر (عليه السلام) فحملوهما بغير أجر إكرامًا للخضر.

فلما ركبا فى السفينة جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر فى البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى! ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر.

(١) سورة الكهف: الآية: (٦٩).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٠).

* وبعد أن وصلوا جميعًا إلى الشاطئ فوجئ موسى (عليه السلام) بأن الخضر (عليه السلام) أخذ فأسًا حين غادر الناس السفينة وأخذ يخرق السفينة فاقتلع لوحًا من ألواحها وألقاه فى البحر . . فتعجب نبى الله موسى (عليه السلام) وقال للخضر (عليه السلام): لقد حملنا أصحاب السفينة بغير أجر وأكرمونا غاية الإكرام، ثم أنت تخرق لهم سفينتهم التى يعملون عليها لتغرقهم فى البحر فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

- لقد كان هذا التصرف الذى فعله الخضر عجيبًا من وجهة نظر موسى (عليهما السلام).

* وهنا قام الخضر ليُذكر موسى بالعهد الذى أخذه عليه.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[1].

وهنا اعتذر موسى للخضر؛ لأنه فعل ذلك نسيانًا وطلب منه ألا يؤاخذه على ذلك ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[2]. فطلب منه أن يصبر عليه.

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٢).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٣).

* ومرة أخرى يسير موسى مع الخضر (عليهما السلام) فمرًا على حديقة يلعب فيها الصبيان . . ولما شبع الأطفال من اللعب وتعبوا جلسوا جانبًا وناموا. . وفجأة قام الخضر بقتل غلامٍ منهم فثار موسى وظل يسأل الخضر: ما ذنب هذا الغلام وما جريمته حتى تقتله؟!

فقام الخضر يُذكِّر موسى للمرة الثانية بالعهد الذى أخذه عليه، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[1].

- ويعتذر موسى للمرة الثانية بأنه فعل ذلك نسيانًا وأعطاه العهد بأنه لن يسأله مرة أخرى . . فإذا سأله مرة أخرى فله الحق أن يفارقه هذه المرة.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾[2].

* وللمرة الثالثة والأخيرة يسير موسى مع الخضر (عليهما السلام)، فدخلا قرية كان أهلها على درجة عالية من البُخل. . فلما نفد الطعام الذى معهما طلبا من أهل القرية أن يقدموا لهما طعامًا فرفضوا أن يضيفوهما أو

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٥).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٦).

يقدموا لهما طعامًا.. ومرت الساعات عصيبة عليهما بلا طعام ولا شراب.

فجلس موسى والخضر (عليهما السلام) بجوار جدار مائل يكاد أن يسقط وفجأة قام الخضر ليصلح هذا الجدار ويبنيه من جديد.

فتعجب موسى من فعل الخضر.. كيف يقوم ويبنى الجدار فى تلك القرية التى بخل أهلها أن يقدموا لهما الطعام والشراب... قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[1].

* وهنا انتهى الأمر.. وكان الفراق بين موسى والخضر (عليهما السلام).

قال الخضر لموسى: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2].

* لقد حذر الخضر موسى (عليه السلام) من السؤال عن أى شىء يراه حتى وإن كان أمرًا غريبًا ولكن موسى (عليه السلام) كان لا يتمالك نفسه من السؤال وبخاصة أنه يرى أشياء غريبة.. ولكنه لم يعلم أن الخضر كان لا

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٧).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٧٨).

يفعل أى شىء إلا بوحى من الله (جل وعلا) ولم يكن يفعل أى شىء من تلقاء نفسه.

* وبدأ الخضر يكشف لموسى (عليهما السلام) أسرار تلك الأشياء والأفعال التى كان يتعجب منها.

* فأخبره أولاً عن أمر السفينة التى خرقها رغم أن أصحاب السفينة أكرموهما وحملوهما بدون أجر.. فقد يظن موسى (عليه السلام) أن خرق السفينة مصيبة كبيرة لأصحابها لكن الخضر (عليه السلام) أخبره أنه فعل ذلك لأن الملك الظالم الذى كان يحكم البلاد كان فى هذه الأيام يستولى على كل سفينة سليمة خالية من العيوب، فأراد الخضر أن يخرقها حتى يتركها الملك، ثم يصلحها أصحابها بعد ذلك.. ومن المعلوم أن إصلاح لوح فى السفينة خير من ضياع السفينة كلها.. وبذلك استطاع الخضر أن يكون سببًا فى حفظ السفينة من الضياع وبذلك يبقى مصدر رزق هذه الأسرة كما هو فلا يموتون من الجوع ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[1].

(١) سورة الكهف: الآية: (٧٩).

* ثم وضح له السر فى قتل هذا الغلام . . فقد يعتبر موسى (عليه السلام) أن قتل الغلام مصيبة كبيرة بالنسبة لوالديه غير أن الخضر (عليه السلام) وضح له أن هذا الغلام طُبع كافرًا وأنه كان سيرهق والديه عندما يكبرا وسيكون عاقًّا لهما وأن موته سيكون رحمة لهما وأن الله (عز وجل) سيرزقهما بدلاً منه غلامًا يرعاهما ويُحسن إليهما فى سنِّ الشيخوخة والضعف.

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[1].

* ثم وضح السرَّ فى بناء الجدار من غير أن يطلب أجرًا من أهل القرية.

فأخبره أن الجدار الذى بناه بدون أجر كان تحته كنز لغلامين يتيمين فى المدينة وكان الجدار يكاد أن يسقط . . ولو سقط الجدار لظهر الكنز الذى تحته، فأخذه أهل القرية البُخلاء ولم يستطع الغلامان أن يحصلا على كنزهما فلذلك بنى لهما الجدار ليحفظ لهما كنزهما حتى يكبرا فيستخرجا الكنز بإذن الله (جل وعلا).

(١) سورة الكهف: الآيتان: (٨٠، ٨١).

ولما كان أبوهما صالحًا فقد نفعهما الله بصلاحه فى طفولتهما وضعفهما، فأراد ربُّهما أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[1].

* ثم وضح له الخضر أن هذا كله لم يفعله من تلقاء نفسه، وإنما كان ذلك كله بوحى من الله (جل وعلا).. ولذا قال له: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2].

* ثم اختفى هذا العالم العابد الخضر (عليه السلام) بعد أن تعلم منه موسى (عليه السلام) درسين فى غاية الأهمية:

(١) تعلم منه ألا يغتر بعلمه، فإنه فوق كل ذى علمٍ عليم.

(٢) تعلم منه ألا يتسرع ولا يتكلم إلا بما يعلم[3].

❊ ❊ ❊

(١) سورة الكهف: الآية: (٨٢).
(٢) سورة الكهف: الآية: (٨٢).
(٣) قصص القرآن للأطفال / محمود المصرى (ص: ٢٢٠ - ٢٣٨).

الدروس المستفادة:

(١) ينبغى على المسلم أن يُـذكر إخوانه بالله فقـد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]... ولقد رأينا كيف وقف موسى (عليه السـلام) ليذكر بنى إسرائيل بالله (جل وعلا).

(٢) ينبغى عـلى المسلم أن ينسب العلم إلى الله ولا يقول: أنا أعلم الناس... فإنه من تواضع لله رفعه.

(٣) أن المسلم ينـبـغى عليـه أن يحـرص على طلب العلم... فـقـد رأينا كـيف أن نـبى الله مـوسى (عليـه السلام) سافر طلبًا للعلم.

(٤) لابد لطالب العلم أن يتواضع فى طلب العلم وأن يتأدب بين يدى شيخه حتى ينتفع بعلمه.

(٥) أن هناك أشياء كثيرة لا يعلم العبد ما هى الحكمة من ورائها لكن الله (عز وجل) يعلم... فعلى العبد أن ينفذ أوامر الله دون أن يسأل عن الحكمة من وراء ذلك.

(٦) أن العـبد قد يُـحرم الخيـر بسبـب تسرعـه وعدم صبره.

---

(١) سورة الذاريات: الآية: (٥٥).

قصة الحجر الذى فرَّ بثياب موسى (عليه السلام)

جلس النبى ﷺ كعادته مع أصحابه رضي الله عنهم ليحكى لهم قصة الحجر الذى فرَّ بثياب موسى (عليه السلام). .

فيا تُرى ما هى قصة ذلك الحجر؟

تعالوا بنا لنعرف هذه القصة ولكن بعد أن تصلوا على النبى محمد ﷺ .

* لقد كان فى شريعة بنى إسرائيل أنه يجوز أن يغتسل الرجال عُراة ينظر بعضهم إلى بعض.

ولكن نبى الله موسى (عليه السلام) كان شديد الحياء فكان يستحى أن يغتسل أمامهم ولذلك كان يغتسل وحده بعيدًا عن أعين الناس ولا يُبدى أى شىء من جسده ولا عورته.

ونحن نعلم أن الحياء خُلق كريم من أخلاق الإسلام.

وكان رسولنا محمد ﷺ أشد حياءً من العذراء فى

خدرها.. بل كان يحض المسلمين على الحياء ويقول: «الحياء كله خير»[1].

* وفى يوم من الأيام أشاع بعض الجُهَّال من بنى إسرائيل أن موسى (عليه السلام) لا يغتسل وحده حياءً من الناس.. وإنما يفعل ذلك لوجود عيب فى جسده لا يريد أن يطلع الناس عليه.

فلما علم موسى (عليه السلام) بهذا الكلام تأذَّى وأحسَّ بشىء من الحزن والضيق.

ونحن نعلم أن نبى الله موسى (عليه السلام) له مكانة عظيمة عند الله (جل وعلا) فهو رسول من أُولى العزم الخمسة الذين هم أفضل الرسل.. وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات ربى وسلامه عليهم -.

والرسل فى أعين الناس ونظرهم يجب أن يكونوا فى أبهى صورة من جمال الخَلق والخُلق.

والله (عز وجل) لا يرضى الأذى لرسوله فكان لا بد من تهيئة الأسباب لتبرئة نبى الله موسى (عليه السلام) من تلك الإشاعة.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (٦١١٧)، ومسلم (٣٧) واللفظ له.

* وجاءت اللحظة الحاسمة التى برَّأ الله فيها موسى (عليه السلام) من تلك الإشاعة.

فقد ذهب بنو إسرائيل يغتسلون كالعادة عُراة ينظر بعضهم إلى بعض.

وذهب موسى (عليه السلام) يغتسل بعيدًا عنهم حتى لا يراه أحد.

ووضع ثيابه على الحجر ونزل الماء ليغتسل.

فلما انتهى من اغتساله خرج من الماء ليأخذ ثيابه من على الحجر ليلبسها وإذا بالمفاجأة التى لا تخطر على قلب بشر.

لقد أخذ الحجر ثياب موسى (عليه السلام) وطار وفرَّ بها.

ونحن نعلم يقينًا أن الحجر لا يستطيع أن يتحرك أو يطير لأنه جماد ولكن الله (جل وعلا) جعله يطير بطريقة لا نعلمها وذلك لحكمة جليلة ألا وهى تبرئة موسى (عليه السلام) مما نسبه الناس إليه.

* لم يكن موسى (عليه السلام) يتخيل أبدًا أن يطير

الحجـر بثيابه فمـا كان منه إلا أنه ظل يجرى وراء الحـجر ليأخـذ ثيابه.. وهكذا ظل مـوسى (عليه السـلام) يجرى عُريانًا خلف الحجر.. والحجر يطير بثيابه حتى بلغ موسى (عليه السـلام) المكان الذى يجتمع فيـه الناس فنظروا إليه فوجدوه سليم الجسد قـوى البنية ليس به عيب فى جسده فزالت تلك الإشاعة الكاذبة التى رماه بها هؤلاء الجهلة.

وهنا توقف الحجـر وأخذ موسى (عليه السـلام) ثيابه ولبسـها ثم أخـذ عصاه وأخـذ يضرب بهـا الحجـر ضربًا شديدًا بسبب ما فعله معه.

ومع أن نبى الله مـوسى (عليه السلام) يعلم يـقينًا أنه حجر لا يعقل لكنه ضربه لأنه فـعل أمرًا لا تفعله الحجارة أبدًا.

والعجـيب أن عصـا موسى (عليـه السلام) رغم أنـها كانت من الخشب إلا أنها أثرت فى ذلك الحجر وتركت به آثارًا بعدد تلك الضربات التى وقعت عليه من عصا موسى (عليه السلام).

* وفى هذه القصة يقـول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾(١).

* * *

* وقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«إن موسى كان رجلاً حيياً ستِّيراً لا يُرى من جلده شيءٌ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده؛ إما برص، وإما أُدْرَة، وإما آفة.

وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه، ثلاثًا أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾(٢)» (٣).

* * *

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦٩).
(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٦٩).
(٣) أخرجه البخارى.

الدروس المستفادة:

(١) أن الحياء خُلق عظيم من أخلاق الإسلام.. فينبغى على كل مسلم أن يتصف بصفة الحياء لأن الحياء كله خير.

(٢) أن الفُساق والجُهال يؤذون الصالحين ويثيرون حولهم الشائعات والأكاذيب فى كل زمان ومكان.

(٣) أن المسلم لا ينبغى عليه أبدًا أن يهتم بتلك الشائعات التى تُقال فى حقه.. بل ينبغى عليه أن يستمر فى طاعته ودعوته ولا يلتفت أبدًا حتى يستمر فى نجاحه.

(٤) أن الله يدافع عن الذين آمنوا.. ولذلك هيأ الله الأسباب التى كانت سببًا فى زوال تلك الإشاعة.

❊ ❊ ❊

قصة عجوز بنى إسرائيل

فى يوم من الأيام نزل النبىُّ محمد ﷺ ضيفًا على رجل من الأعراب، فلم يُصدق الرجل نفسه أن ضيفه هو رسول الله ﷺ ، فأخذ الرجل يقدم الطعام والشراب والفاكهة لرسول الله ﷺ مع أنه رجل فقير، لا يملك شيئًا لكنه كان فى قمة السعادة لأن بيته قد امتلأ بركة ونورًا بوجود الرسول ﷺ .

تعجب النبى ﷺ من كرم هذا الأعرابى الفقير.

ولكن أين يبلغ كرم هذا الأعرابى بجوار كرم رسول الله ﷺ الذى كان أجود من الريح المرسلة فى الإنفاق وفعل الخيرات.

فما كان من النبى ﷺ إلا أن طلب من هذا الأعرابى أن يأتى إليه بعد ذلك ليجزيه ويكافئه على ما فعله معه ﷺ .

ومرت الأيام وتعرض هذا الأعرابى لأزمة مادية كبيرة،

فتذكَّر أن رسول الله ﷺ كان قد طلب منه أن يأتى إليه ليجزيه ويكافئه، فما كان منه إلا أن ذهب إلى النبىِّ ﷺ واستأذن فى الدخول عليه، فلما علم النبىُّ ﷺ بوصول هذا الأعرابى أَذِن له فى أن يدخل عليه.

دخل الأعرابى على رسول الله ﷺ وسلم عليه فردَّ النبى ﷺ عليه السلام ورحَّب به غاية الترحيب . . وأخذ يسأله عن أحواله ليطمئن عليه فبدأ الرجل يشكو إليه الفاقة والفقر والحاجة.

فما كان من النبى ﷺ إلا أن قال له: يا أعرابى اطلب ما تريد.

وكان النبى ﷺ يظن أن هذا الأعرابى سيطلب شيئًا كبيرًا . . وذلك بأن يسأل رسول الله ﷺ أن يدعو له بمغفرة ذنوبه أو بدخول الجنة أو بصحبة النبى ﷺ فى الجنة . . لكن هذا الأعرابى لم يسأل النبى ﷺ أى شىء من كنوز الآخرة بل سأله شيئًا يسيرًا من حُطام الدنيا.

قال له الأعرابى: يا رسول الله! أريد ناقة برحلها

نركبها ونسافر عليها وأعنُزًا نحلبها ونشرب حليبها.

فحزن النبى ﷺ حزنًا شديدًا؛ لأن هذا الأعرابى أُتيحت له فرصة العمر بأن يدعو له رسول الله ﷺ دعوة مستجابة، فيفوز فى دنياه وآخرته.

لكنه ترك كل ذلك وسأل شيئًا يسيرًا يمكن أن يُطلب من أى إنسان.

فإذا بالنبى ﷺ يقول لهذا الأعرابى: «أعجزت أن تكون مثل عجوز بنى إسرائيل؟!».

فتعجب الصحابة لأنهم لم يسمعوا بسيرتها قبل ذلك فقالوا: يا رسول الله وما عجوز بنى إسرائيل؟

فبدأ النبى ﷺ يحكى لهم قصة عجوز بنى إسرائيل التى كانت صاحبة همة عالية .. فلما أُتيحت لها الفرصة بأن تطلب شيئًا من نبى الله موسى (عليه السلام) لم تطلب منه أى شىء من حُطام الدنيا بل طلبت أن تكون معه فى الجنة .. فيا تُرى ما هى قصتها؟

تعالوا بنا لنتعرف على قصتها.

* تبدأ القصة من أيام نبى الله يوسف (عليه السلام).

فإنه لما أصبح يوسف (عليه السلام) عزيز مصر وأحسَّ بعد ذلك بقُرب أجله وقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(١).

وهنا أخذ نبى الله يوسف (عليه السلام) العهد والميثاق على بنى إسرائيل عند موته أنهم إذا خرجوا فى يوم من الأيام من مصر أن يحفروا ويأخذوا جسده ليدفنوه فى الأرض المقدسة فى فلسطين.

* ومات يوسف (عليه السلام) .. ومرت سنوات وسنوات ولم يستطع بنو إسرائيل أن يأخذوا جسده من مصر ليدفنوه فى الأرض المقدسة.

* ولما بُعث نبى الله موسى (عليه السلام) وذهب إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله (جل وعلا) فأبَى فرعون أن يؤمن بالله بل وحارب رسول الله موسى (عليه السلام) وخرج بجيشه وراء موسى ومن آمن معه من أجل أن يقتلهم.

فخرج موسى (عليه السلام) وقومه .. وبينما هم فى

(١) سورة يوسف: الآية: (١٠١).

الطريق؛ إذ ضلوا الطريق فتعجب نبى الله موسى (عليه السلام) فسأل من معه من علماء بنى إسرائيل عن سبب ذلك فقالوا له: إن يوسف (عليه السلام) كان قد أخذ العهد على بنى إسرائيل أنهم إذا خرجوا من مصر أن يحفروا ويأخذوا جسده ليدفنوه فى الأرض المقدسة.

فقال موسى (عليه السلام): وهل هناك أحد يعرف مكان قبر يوسف (عليه السلام)؟

قالوا: لا يعرف مكان قبر يوسف (عليه السلام) إلا امرأة عجوز من بنى إسرائيل.

فقال موسى (عليه السلام): ائتونى بها.

فذهبوا إليها وجاءوا بها إلى نبى الله موسى (عليه السلام).

فلما رآها قال لها: دُلينى على قبر يوسف (عليه السلام).

فقالت المرأة: لن أدلك على قبر يوسف (عليه السلام) إلا إذا حققت طلبى.

فسألها موسى (عليه السلام): ما هو طلبك وماذا تريدين؟

قالت: أريد أن أكون معك فى الجنة!!

فتعجب نبى الله موسى (عليه السلام) من طلبها.. وكره أن يحقق لها طلبها لأنه رأى أن هذا العمل الذى ستقوم به لا يساوى أن تكون معه فى تلك المنزلة العالية.. أو لأنه لا يستطيع أن يعدها بشىء لا يملكه هو.. فهو لا يستطيع أن يقول لأحد أنه سيكون معه فى الجنة إلا إذا أوحى الله (عز وجل) إليه بذلك.

وبالفعل أوحى الله إليه فى تلك اللحظة بأن يعطيها حكمها وأن يخبرها بأن الله قد حقق لها أمنيتها وأنها ستكون معه ﷺ فى الجنة.

وهكذا كانت هذه المرأة صاحبة همة عالية فلقد اغتنمت الفرصة عندما أُتيحت لها وطلبت من نبى الله موسى (عليه السلام) أن تكون معه فى الجنة.

* وعندما أخبر نبى الله موسى (عليه السلام) هذه المرأة العجوز بأنها ستكون معه فى الجنة.. قامت المرأة وتوجهت إلى بحيرة صغيرة قريبة منهم وطلبت منهم أن ينضحوا ذلك الماء، ثم قالت لهم: احفروا هذا المكان

فلما حفروا وجدوا جسد يوسف (عليه السلام) كما هو وكأنه قد دُفن الآن فلما رفعوه وساروا به أضاء لهم الطريق كأنما هم فى ضوء النهار.

* * *

* ولقد وردت هذه القصة فى سُنة رسول الله ﷺ :

فعن أبى موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نزل بأعرابى، فأكرمه، فقال له: «يا أعرابى سَل حاجتك» قال: يا رسول الله، ناقة برحلها، وأعنُز يحلبها أهلى، . . . قالها مرتين.

فقال له رسول الله ﷺ : «أعجزت أن تكون مثل عجوز بنى إسرائيل؟!».

فقال أصحابه: يا رسول الله! وما عجوز بنى إسرائيل؟

قال: «إن موسى أراد أن يسير ببنى إسرائيل فأضلَّ عن الطريق، فقال له علماء بنى إسرائيل: نحن نحدثك أن يوسف أخذ علينا مواثيق الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: وأيكم يدرى أين قبر يوسف؟

قالوا: ما تدرى أين قبر يوسف إلا عجوز بنى إسرائيل،

فأرسل إليها فقال: دليني على قبر يوسف. فقالت: لا والله لا أفعل حتى أكون معك في الجنة».

قال: «وكره رسول الله ما قالت، فقيل له: أعطها حُكمها فأعطاها حُكمها، فأتت بُحيرة فقالت: انضبوا هذا الماء فلما نضبوه قالت: احفروا ههنا، فلما حفروا إذا عظام يوسف، فلما أقلوها من الأرض فإذا الطريق مثل ضوء النهار»[1].

❊ ❊ ❊

(١) هذا الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٦٢٤) ورقمه ٤٠٨٨ . وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

الدروس المستفادة:

(١) أن كرم الضيافة من أخلاق المسلمين . . ولقد رأينا كيف أن هذا الأعرابى الفقير كان فى غاية الكرم مع رسول الله ﷺ .

قال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه...»(١).

(٢) أن المسلم ينبغى عليه أن يكافئ من أحسن إليه . . ولذلك كان النبى ﷺ لا يترك أحدًا يعمل معه معروفًا إلا ويكافئه أعظم مكافأة.

ولقد رأينا كيف أن الأعرابى لما أحسن ضيافة النبى ﷺ طلب منه النبى ﷺ أن يأتيه حتى يكافأه.

(٣) أن المسلم ينبغى أن يكون أكثر طموحاته مرتبطة بنعيم الجنة والفوز برضا الله (جل وعلا) . . لا أن تكون كل طموحاته فى حُطام الدنيا الزائل.

(٤) أن علو الهمة رزق يعطيه الله لمن يشاء من عباده.

ولقد رأينا كيف أن هذه المرأة العجوز كانت عالية الهمة . . فعندما طلب منها نبى الله موسى (عليه السلام)

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

أن تدله على قبر يوسف (عليه السلام) قالت له: لن أدلك على قبره حتى تعطينى العهد بأن أكون معك فى الجنة.

(٥) أن العبد قد يُحرم التوفيق إن لم ينفذ أمر الله . . ولقد رأينا كيف تاه بنو إسرائيل وهم خارجون من مصر بسبب أنهم تركوا جسد يوسف (عليه السلام) ونسوا أنه أخذ العهد عليهم أن يُخرجوا جسده من مصر ويدفنوه فى الأرض المقدسة.

(٦) أن الله رحيم بعباده . . فلقد رأينا كيف أوحى الله إلى موسى (عليه السلام) بأن يبشر هذه المرأة بأنها معه فى الجنة رغم أن العمل الذى ستقوم به لا يساوى تلك المنزلة.

* * *

قصة دسّ جبريل التراب في فم فرعون

لقد أخبرنا الله (جل وعلا) في كتابه عن حال فرعون الذي طغى وبغى وملأ الأرض ظلمًا وعدوانًا وكفرًا بالله (جل وعلا).

حتى وصل الأمر بفرعون أنه قال: «أنا ربكم الأعلى» وقال: «ما علمت لكم من إلهٍ غيري» .. بل وحارب نبيَّ الله موسى (عليه السلام) ومن معه من المؤمنين.

وتمر الأيام وتأتي اللحظة التي قدَّرها الله (عز وجل) لينتقم من فرعون وجنوده وأتباعه .. فإنه لما سار فرعون بجنوده خلف موسى (عليه السلام) وأتباعه ووصلوا إلى البحر .. وشاء الله (عز وجل) أن تحدث هذه المعجزة الكبرى بأن يضرب موسى البحر بعصاه، فيشقه إلى نصفين، ثم يمر ومن معه من المؤمنين حتى يصلوا إلى الشاطئ الآخر.

ويدخل فرعون وجنوده فى ذلك الطريق الذى بداخل البحر ويأمر الله البحر، فيُغرق فرعون وجنوده.

وبينما فرعون يغرق وإذ به يقول: آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل . . فلما رآه جبريل (عليه السلام) يقول ذلك خاف أن ينطق بكلمة التوحيد، فيرحمه الله (جل وعلا).

فأخذ جبريل (عليه السلام) يدسّ التراب فى فم فرعون حتى لا يتمكن من النطق بكلمة التوحيد خشية أن تدركه رحمة الله ويقبل الله توبته.

وجبريل (عليه السلام) لم يفعل ذلك مع فرعون إلا لشدة كراهيته لذلك الطاغية الذى ملأ الأرض فساداً وإفساداً ومحاربة لأولياء الله الصالحين.

* ومن المعلوم أن المؤمن بطبعه يُبغض الظلم والظالمين. . وقد يصل به الأمر أحيانًا أن يدعو عليهم بعد أن يرى إصرارهم على ظلم الناس من حولهم.

وقد دعا موسى (عليه السلام) على فرعون ومن معه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا

لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[1].

* وقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ: «لما أغرق الله فرعون قال: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾[2]، فقال جبريل: يا محمد! فلو رأيتنى وأنا آخذ من حال البحر، فأدسه فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة»[3].

❊ ❊ ❊

(١) سورة يونس: الآية: (٨٨).

(٢) سورة يونس: الآية: (٩٠).

(٣) رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٠٦).

حال البحر: الطين الأسود الذى يكون فى أرض البحر.

الدروس المستفادة:

(١) عِظَم رحمة الله، فقد خشى جبريل وهو من أعلم الخلق بالله أن تنال رحمة الله فرعون عندما نطق بكلمة التوحيد فى غرقه.

(٢) فضل كلمة التوحيد، فإن جبريل خشى أن يرحم الله بها فرعون الكافر، فكيف إذا قالها العبد فى حال الصحة والعافية موقنًا بها، لا شك أن فى ذلك أجرًا عظيمًا وثوابًا جزيلاً.

(٣) شدة بغض الملائكة للكفرة المجرمين، حتى أن جبريل كان يدسُّ التراب فى فم فرعون عند نزول العذاب به[١].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ٣٦١).

قصة المفاخر بآبائه الكفرة

فى يوم من الأيـام جلس النبىُّ ﷺ كـالعـادة مع أصحابه رضي الله عنهم ودار الحديث بينهم فى أمور الدين.

وفجـأة قام رجلان أمام النبى ﷺ وأخـذ كل واحدٍ منهما يذكر للآخر نسبه وعائلته وآباءه وأجداده.

فقال أحـدهما: أنا فلان بن فلان بـن فلان، فمن أنت لا أُمَّ لك؟

فأراد النبىُّ ﷺ أن يُلقن هذا الرجل درسًـا لا ينساه أبدًا.

فأخبر النبى أنه قد حـدث هذا الأمر على عهد موسى (عليه السلام)، فقام رجـلان أمام موسى (عليه السلام)، فقال أحدهما للآخر: أنا فلان بن فلان . . حتى عَدَّ تسعة من آبائه وأجداده، ثم قال لصاحبه: فمن أنت لا أُمَّ لك؟

فقال له صاحبه: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام.

فأوحى الله (عـز وجل) إلى موسى (عليـه السلام) أن

يخبر الرجل الأول الذى عَدَّ تسعة من آبائه وأجداده بأنه قد افتخر وانتسب إلى تسعة من آبائه وأجداده كلهم فى النار وأنه سيكون عاشرهم فى النار.

وأوحى إلى موسى (عليه السلام) بأن يخبر الرجل الثانى الذى قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام .. بأنه قد انتسب إلى رجلين من أهل الجنة وهو ثالثهما فى الجنة.

* وكأن النبى ﷺ أراد أن يعطى هذا الصحابى درسًا كبيرًا فى أنه لا ينبغى أن يفتخر الإنسان بآبائه وأجداده إن كانوا كفارًا أو عُصاة .. أما إن كان الآباء والأجداد من عباد الله الصالحين فمن حق المسلم أن يفتخر بصلاحهم وبخاصة إذا كان يسير على خُطاهم.

كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾(١).

* ويُروى أن هذا وقع لسلمان الفارسى رضي الله عنه فقد ذكر

(١) سورة يوسف: الآية: (٣٨).

جمعٌ من الرجال - كان فيهم سلمان - آباءهم، فلما جاء دور سلمان قال: أنا ابن الإسلام، فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر، بكى، وقال: وأنا ابن الإسلام.

❊ ❊ ❊

* وقد وردت هذه القصة فى سُنة النبى ﷺ:

عن أُبى بن كعب قال: انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، من أنت لا أُمَّ لك؟

فقال رسول ﷺ: «انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان، حتى عدَّ تسعةً، فمن أنت لا أُمَّ لك؟ قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن هذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتمى أو المنتسب إلى تسعة فى النار، فأنت عاشرهم، وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين فى الجنة، فأنت ثالثهما فى الجنة»[1].

❊ ❊ ❊

(١) أورده الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٢٧٠).

الدروس المستفادة:

(١) أنه يجب علينا أن نحذر من العصبية الجاهلية وذلك بأن نتفاخر على من حولنا بالآباء والأجداد والمال والجاه والمنصب وبخاصة إذا كان الآباء والأجداد كافرين أو من العُصاة.

(٢) أن الفخر بالآباء والأجداد وتحقير شأن الآخرين يُشعل نار العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع المسلم.

(٣) أن قدر المسلم عند ربه لا يكون بحسبه ولا نسبه وإنما يكون بإيمانه وتقواه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

❊ ❊ ❊

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

قصة موسى (عليه السلام) وملك الموت

يخبرنا الرسول ﷺ أن من كرامة الأنبياء عند ربهم (جل وعلا) أنهم يُخيَّرون عند الموت بين البقاء فى هذه الحياة وبين الرحيل والانتقال إلى الرفيق الأعلى.

ومن هنا يحكى لنا النبى ﷺ قصة موسى (عليه السلام) أن الله أرسل إليه ملك الموت فى صورة رجل فدخل عليه بيته دون أن يستأذن عليه وقال له: أجب ربك.. وكان ذلك إيذانًا بأن أجله قد حضر وأن ساعة موته قد أتت.

فلم يعرف موسى (عليه السلام) أن هذا هو ملك الموت لأنه جاءه فى صورة رجل.. فما كان منه إلا أنه قام ولطم وجه ملك الموت ففقأ عينه - أى: عينه البشرية التى تمثَّل بها وإلا فلو كان ملك الموت فى صورته الملائكية لما استطاع موسى (عليه السلام) أن يلطم وجهه ولا أن

يقدر عليه -.

فرجع ملك الموت إلى ربه (جل وعلا) ليشكو إليه ما أصابه من موسى (عليه السلام) وقال له: إنك أرسلتنى إلى عبدٍ لك لا يريد الموت وقد فقأ عينى.

فما كان من الله (جل وعلا) إلا أن ردَّ إلى ملك الموت عينه كما كانت.

ثم أمره أن يعود مرة أخرى إلى موسى (عليه السلام) وأن يسأله إن كان يريد الحياة فعليه أن يضع يده على ظهر ثَور ثم يعد الشعرات التى غطتها يده فيكون له بكل شعرة من تلك الشعرات سنة يعيشها فى هذه الحياة ويكون أجله من السنوات بعدد تلك الشعرات وبذلك يعيش حياة طويلة جدًّا إن كان يريد الحياة.

ولكن موسى عندما استعلم من ملك الموت عما وراء تلك الحياة المديدة قال له: الموت... فاختار الموت من قريب. فما عند الله لرسله وأنبيائه والصالحين من عباده خيرٌ وأبقى.

إذا كانت أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر،

تسرح فى رياض الجنة تأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، وتأوى إلى قناديل معلقة فى سقف عرش الرحمن، فإن حياة الرسل والأنبياء فوق ذلك كله، وماذا كان سينال موسى عليه السلام لو بقى حيًّا إلى يومنا، كان سيعانى من مصائب الحياة وبلاياها، وسيعاصر تلك الأحداث الكبار على مر التاريخ التى تشغل الفكر، وتُدمى القلب، أوَليس خيرًا له أن يكون فى الرفيق الأعلى مع الرسل والأنبياء يتقلب فى جنات النعيم، من أن يبقى فى دار الشقاء والبلاء؟!!

لقد خُيِّر موسى فاختار، اختار لقاء الله على حياة مديدة طويلة، فما عند الله خير وأبقى، والآخرة خير من الأولى.

وقد طلب من ربه عند قبض روحه أن يُدنيه من الأرض المقدسة حتى يكون منها رمية بحجر.

واستجاب الله دعاء موسى، وقد أخبرنا رسولنا ﷺ أن قبر موسى هناك على مشارف الأرض المباركة عند الكثيب الأحمر، وأنه لو كان هناك لأراه أصحابه[1].

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ٩٩-١٠٠) بتصرف.

ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك[١]، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى، فقال: إنك أرسلتنى إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عينى، قال: فرَدَّ الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدى فقل الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور[٢]، فما توارت يدك[٣] من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مَه؟[٤] قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب رب. قال: أمتنى من الأرض المقدسة رمية بحجر»[٥]، قال رسول الله ﷺ: «والله لو أنى عنده، لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر[٦]»[٧].

❊ ❊ ❊

(١) أجب ربك: أى للموت، ومعناه: جئت لقبض روحك.
(٢) متن الثور: ظهره.
(٣) فما توارت يدك: أى ما سترت ووارت.
(٤) مه: استفهام، أى: ثم ماذا؟ أحياة أم موت؟
(٥) رمية حجر: قدر ما يبلغه الحجر إذا رُمى.
(٦) الكثيب الأحمر: الكثيب: الرمل المجتمع.
(٧) أخرجه البخارى (١٣٣٩) كتاب الجنائز، ومسلم (١٨٤٢) كتاب الفضائل، واللفظ لمسلم.

الدروس المستفادة:

(١) دلَّ الحديث على أن الأنبياء كانوا يُخيَّرون قبل أن تُقبض أرواحهم بين الحياة وبين الانتقال إلى رحمة الله، كما خُيِّر موسى في هذا الحديث، وقد سمعت عائشة رسول الله ﷺ يقول وهو في مرض موته: «**اللهم الرفيق الأعلى**»، فعلمت أنه خُيِّر فاختار.

(٢) قدرة الملائكة على التمثل في صورة الإنسان، كما تمثل ملك الموت في صورة البشر عندما جاء إلى موسى عليه السلام.

(٣) الموت حق لا بد منه، ولو نجا منه أحد لنجا منه أنبياؤه ورسله.

(٤) مكانة موسى عند الله حيث لطم ملك الموت ففقأ عينه، ولولا كرامة موسى على الله لانتقم منه ملك الموت انتقامًا شديدًا.

(٥) وجود قبر موسى على مشارف الأرض المقدسة، وعلم الرسول ﷺ بموضع قبره، وقد حدد بعض العلامات الدالة على القبر، فهو بجانب الطريق، عند

الكثيب الأحمر.

(٦) رغبة موسى عليه السلام أن يكون قبره قريبًا من الأرض المباركة، ولا حرج على من أحب أن يموت فى الأرض المباركة.

(٧) الأرض المقدسة المباركة لها حدود معروفة، وقد طلب موسى من ربه أن يدنى قبره منها رمية بحجر، ولذا فهو مدفون خارجها، على مشارفها[١].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ١٠٠-١٠١).

قصة آسية امرأة فرعون

كان فرعون ملك مصر ملكًا جبارًا ظالمًا وكان يكفر بالله - جل وعلا - بل وكان يدعى أنه هو الله وكان يُجبر الناس على عبادته ويقول لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِى﴾(١).

وكان فرعون يستخدم بنى إسرائيل الذين هم من سلالة نبى الله يعقوب - عليه السلام - فى أخسِّ الصنائع والحِرَف وكان أيضًا: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢).

وكان الذى جعله يفعل معهم كل هذا أنه فى ليلة من الليالى رأى فى منامه كأن نارًا قد أقبلت نحو بيت المقدس فأحرقت بيوت مصر وجميع القبط ولم تضر أحدًا من بنى إسرائيل.

فلما استيقظ فرعون، جمع الكهنة والسحرة وأخبرهم

(١) سورة القصص: الآية: (٣٨).

(٢) سورة القصص: الآية: (٤).

بتلك الرؤيا فقالوا له: إنه سيولد غلام من بنى إسرائيل وسيكون هلاك مُلكك على يديه فأمر فرعون بقتل كل ولد ذكر يولد من بنى إسرائيل.

وأمر رجاله بأن يبحثوا عن كل امرأة حامل ليعلموا ميعاد الولادة فإذا ولدت أنثى تركوها لها وإذا ولدت ذكرًا ذبحوه فى ساعتها.

ولكن القبط - أهل مصر - اشتكوا إلى فرعون أن عدد ذكور بنى إسرائيل يتناقص يومًا بعد يوم بسبب ذبحه لكل ذكر يولد . . . وأنه بعد ذلك لن يجد من ذكور بنى إسرائيل من يخدمه ويستعمله فى الأعمال والحرف والصنائع فيضطر عندها أن يستخدم القبط فى تلك الأعمال.

هنا أصدر فرعون قرارًا جديدًا بأن يقتلوا ذكور بنى إسرائيل عامًا ويتركوا عامًا . . . فكان ميلاد هارون - عليه السلام - فى عام المسامحة عن قتل الأبناء وكان ميلاد موسى - عليه السلام - فى عام القتل.

وكانت أم موسى فى غاية الخوف على طفلها الذى فى

بطنها - وهو موسى عليه السلام - وظلت تُخبئ حملها إلى أن وضعته - أى: ولدته.

فلما وضعته اتخذت له تابوتًا من الخشب وربطته فى حبل وكانت دارها بجوار النيل مباشرة ... فكانت تُرضعه فإذا خافت أن يراها أحد وضعته فى التابوت وأرسلته فى نهر النيل وهى تمسك طرف الحبل.

فإذا ذهب الجنود كانت تشد الحبل وتأخذ موسى - عليه السلام - من التابوت.

إلى أن جاء الأمر من الله - جل وعلا - بأن تترك موسى فى التابوت وتلقيه فى البحر.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(١).

وهذا الوحى وحى إلهام، وليس بوحى نبوة.

فالله أمرها ألا تخاف ولا تحزن، ووعدها بأنه سيرد موسى إليها سالمًا غانمًا بل وسيجعله نبيًّا مُرسلاً يُعلى كلمته فى الدنيا والآخرة.

(١) سورة القصص: الآية: (٤).

ففعلت أم موسى ما أُمرت به وتركت الحبل وذهب التابوت بموسى - عليه السلام - وظل سائراً فى نهر النيل إلى أن وصل إلى قصر فرعون فرأى جنود فرعون هذا التابوت فأخذوه وذهبوا به إلى فرعون وزوجته آسية.

فلما فتحت آسية التابوت ووقع بصرها على موسى - عليه السلام - أحبته حبًّا شديداً . . فلما رآه فرعون أراد أن يقتله فقالت له: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾(١).

فقال لها فرعون: هو قرة عين لك أنت، أما لى فلا.

فهدى الله آسية امرأة فرعون لحبها لموسى - عليه السلام - بل وجعلها الله من أهل الجنة.

* وبعد فترة خرجت أمّ موسى من بيتها لتُرضع ولدها، فلم تجده فى مكانه، فأرسلت نظرها فى النيل، فلم تجد أثراً للتابوت . . . يا تُرى أين ذهب؟

فلما جاءت أخت موسى أمرتها أمها بأن تبحث عنه . . . وخرجت الفتاة تبحث عن أخيها الرضيع إلى أن علمت أنه الآن فى قصر فرعون.

(١) سورة القصص: الآية: (٩).

* وأما عن موسى - عليه السلام - فإن امرأة فرعون لما أخذته أرسلت للمرضعات ليقمن بإرضاعه ولكنه رفض أن يلتقم أى ثدى ولم يرضع وكاد أن يموت.

فحزنت امرأة فرعون وأرسلت النساء إلى السوق يبحثن عن امرأة تُرضعه . . . فرأتهن أخت موسى فلم تُظهر أنها تعرفه بل قالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[1].

فذهبوا معها إلى منزلهم، فأخذته أُمُّه، فلما أرضعته التقم ثديها، وأخذ يمُصُّه ويرتضعه، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا.

وذهب البشير إلى «آسية» ليخبرها بذلك، فاستدعتها إلى منزلها، وعرضت عليها أن تكون عندها، وأن تحسن إليها، فأبت أم موسى، وقالت: إن لى زوجًا وأولادًا، ولستُ أقدر على هذا، إلا أن ترسليه معى، فأرسلته معها، ورتّبت لها رواتب، وأجرت عليها النفقات والكساوى، والهبات، فرجعت به تحوزه إلى رحلها، وقد جمع الله شمله بشملها.

(١) سورة القصص: الآية: (١٢).

قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وبعد أن أتمت أمُّ موسى رضاع ولدها، عاد إلى بيت فرعون، فشبّ هناك، واستوى.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

ولما منَّ الله تعالى على موسى - عليه السلام - وآتاه حُكمًا وعلمًا أظهر خلاف فرعون، وعاب عليهم عبادة فرعون والأصنام.

* وعلم فرعون بعد ذلك أن زوجته آسية قد آمنت مع موسى - عليه السلام - فما كان منه إلا أن أمرها بأن تكفر بالله فأبت ورفضت.

فصلبها وأوتد لها أوتادًا فشد بها يديها ورجليها ثم وضع على بطنها حجرًا كبيرًا وعرَّضها للشمس المحرقة.

فكان يأمر جنوده بتعذيبها فإذا تركوها أظلتها الملائكة بأجنحتها.

---

(١) سورة القصص: الآية: (١٣).

(٢) سورة القصص: الآية: (١٤).

ولما يئس منها فرعون قال لجنوده: انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن أصرت على إيمانها بالله فألقوا عليها الصخرة فاقتلوها وإن رجعت عن دينها فهى امرأتى . . . فلما ذهبوا إليها رفعت بصرها إلى السماء وقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(١) فرفع الله لها بيتها فى الجنة فرأته فابتسمت وفاضت روحها إلى بارئها - جل وعلا - قبل أن تصل إليها الصخرة.

وهكذا ماتت آسية على الإيمان والتوحيد وكانت من أهل الجنة وذكرها الله - عز وجل- فى كتابه العزيز - القرآن الكريم.

❊ ❊ ❊

(١) سورة التحريم: الآية: (١١).

الدروس المستفادة:

(١) أثر الإيمان الصادق فى مواجهة العذاب والهوان الذى يصبُّه الظالمون فوق رؤوس المؤمنين، حتى المرأة الرقيقة المرفهة المنعمة، صبرت على العذاب لتنال رضوان الله ورحمته وجنته.

(٢) مدى حقد أهل الكفر على أهل الإيمان، ففرعون لم يرعَ حق الصُّحبة للزوجة التى عاشت معه، وأذاقها أشد ألوان العذاب، ولم يرحم ضعفها.

(٣) رعاية الله لعباده المؤمنين عندما يصيبهم البلاء، فقد أرسل لآسية - امرأة فرعون - الملائكة تظلها وهى مشدودة إلى الأوتاد، وكشف لها عن المنزلة المعدة لها فى جنات النعيم، وفى ذلك تثبيت لها على الإيمان.

(٤) اختيار بعض عباد الله نعيم الآخرة على نعيم الدنيا، ولو نالوا منه أعلى مراتبه، فهذه المرأة كانت المرأة الأولى فى البلاط الملكى فى قصر فرعون.

(٥) عظيم حِلم الله تبارك وتعالى، فلو شاء لأنجى آسية من محنتها، ولأهلك فرعون وزبانيته، ولكنه حليم، يُمهل ولا يُهمل[١].

(١) صحيح القصص النبوى / د. عمر الأشقر (ص: ٢٨٢).

ماشطة ابنة فرعون

كان النبى ﷺ فى رحلة التكريم العظيمة التى أكرمه الله بها... وهى رحلة الإسراء والمعراج.

وبينما كان النبى ﷺ مع جبريل (عليه السلام) فى السماوات العُلى إذ تنسَّم رائحة جميلة طيبة لم يشم رائحة أجمل منها فقال: «**يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟**».

فقال له جبريل: إنها رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها.

فتعجب النبى ﷺ وقال له: «**وما هى قصتها يا جبريل؟**».

فقال له جبريل: كانت هذه المرأة تعيش هى وأولادها فى قصر فرعون الطاغية... وكانت تعتنى بابنة فرعون وتمشط لها شعرها وتقوم بكل شؤونها.

وفى يوم من الأيام آمنت هذه المرأة بالله - جل وعلا - وكتمت إيمانها حتى لا يعلم فرعون بذلك... لأنه إذا

علم أنها آمنت بالله فسوف يقتلها هى وأولادها.

وفى يوم من الأيام كانت هذه المرأة المؤمنة تمشط شعر ابنة فرعون فسقط منها المشط على الأرض فمدت يدها لتأخذ المشط وقالت: بسم الله.

فقالت ابنة فرعون: تقصدين أبى؟

فقالت لها الماشطة: لا... ولكن ربى ورب أبيك الله -جل وعلا- فقالت ابنة فرعون: سأخبر أبى أن لك إلهًا غيره فقالت لها الماشطة: افعلى ما شئت فأنا لا أعبد إلا الله.

* وذهبت تلك الفتاة المغرورة ابنة فرعون إلى أبيها وأخبرته بذلك فما كان منه إلا أن دعا الماشطة وسألها: هل تعبدين إلهًا غيرى؟

قالت الماشطة: نعم.. أعبد الله ربى وربك ورب الناس أجمعين.

فما كان من فرعون الطاغية إلا أن استعمل وسيلة من أشد وسائل التعذيب وهى عبارة عن بقرة مصنوعة من النحاس.

فأمر بإشعال النار من تحتها حتى حميت وأصبحت كأنها جمرة من النار ثم أمر بإلقاء أولاد هذه المرأة المؤمنة فى تلك البقرة النحاسية.

* ولكنه قبل أن يُلقى أولادها فى تلك البقرة النحاسية التى أصبحت كالفرن المشتعل طلب منها أن ترجع عن دينها وأن تعبده هو مرة أخرى فرفضت وقالت: لا أعبد إلا الله.

* وبدأ فرعون الطاغية يأمر الجنود بإلقاء أولادها واحدًا بعد الآخر... والأم تنظر إلى أولادها وتبكى لكنها ترفض أن تكفر بالله.. وترجو أن يجمع الله بينها وبين أولادها فى الجنة.

* وكادت هذه المرأة أن ينخلع قلبها وهى ترى أولادها يموتون أمام عينيها تلك الميتة البشعة.

* وبعد قتل أولادها لم يبق إلا طفل رضيع كان يرضع من ثديها فى تلك اللحظة فجاء الجنود بكل قسوة فنزعوه من على صدرها فرقَّ قلب هذه المرأة وتألمت ألمًا شديدًا عندما أرادوا أن يقذفوا هذا الطفل الرضيع فى تلك

البقرة النحاسية المشتعلة وكادت أن تُفتن وترجع عن دينها فثبتها الله بمعجزة لا تخطر على قلب بشر.

فقد أنطق الله هذا الطفل الرضيع فقال لأمه: يا أمه اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

* فأخذ الجنود هذا الطفل وألقوه فى البقرة النحاسية المشتعلة فمات.

* **وهنا طلبت الماشطة من فرعون طلبًا وقالت له:** إن لى إليك حاجة.

قال فرعون: وما حاجتك؟

قالت: أتمنى أن تجمع عظامى وعظام أولادى فى ثوب واحد وتدفننا.

فوافق فرعون.

واقتحمت الماشطة ونزلت فى تلك البقرة النحاسية المشتعلة فماتت..

وأمر فرعون جنوده أن يجمعوا عظام هذه المرأة وأولادها فى ثوب واحد وأن يدفنوهم فى قبر واحد.

وكانت رائحة الشواء تفوح من عظام المرأة وأولادها

فأكـرمها الله -جل وعلا- بأن جـعل لها ولأولادها عطراً جميلاً يفوح فى السـماوات السبع ليشم النبى ﷺ تلك الرائحة فى رحلة الإسراء والمعراج.

❊ ❊ ❊

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«لما كانت الليلة التى أُسـرى بى فيها أتت علىَّ رائحـة طيبة، فقلـت: يا جبريـل! ما هذه الرائحـة الطيبـة؟ فقال: هـذه رائحة ماشطة ابنة فـرعون وأولادها. قال: قـلت: وما شأنهـا؟ قال: بينا هى تمشط ابنة فرعـون ذات يوم إذ سقطت المدرى - أى المشط - من يديهـا، فقـالت: بسم الله فـقالت لهـا ابنة فرعـون: أبى؟ قـالت: لا، ولكن ربى ورب أبيك الله، قـالت: أُخبـره بذلك؟ قـالت: نعم، فأخـبـرته، فدعـاها، فـقال: يا فـلانة ! وإن لك ربًّا غـيرى؟ قـالت: نعم، ربى وربُّك الله، فـأمر ببـقرة من نحـاس، فأُحـميت، ثم أمر بهـا أن تُلقَى هى وأولادها فيهـا، قالت له: إن لى إليك حـاجـة، قال: ومـا حـاجتك؟ قـالت: أحب أن تجـمع عظامى وعظام ولـدى فى ثوب واحـد، وتدفننا، قـال: ذلك لك علينا من الحق.

قال: فأمر بأولادها فأُلقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مُرضَع، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أمه، اقتحمى فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت»[1].

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد فى مسنده وحسن إسناده مُحققو المسند (٣/ ٣٠٩).

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم إذا ذاق حلاوة الإيمان بالله -جل وعلا- فإنه تهون عليه نفسه فى سبيل الله.

(٢) أنه مهما كانت الفتن فإن المؤمن لا يهتز إيمانه أبدًا.

(٣) أن المسلم لابد أن يثبت على دينه... فقد رأينا كيف أن هذه المرأة ثبتت على دينها رغم التعذيب وإحراقها هى وأولادها.

(٤) أن الله يُكرم أولياءه الذين بذلوا نفوسهم فى سبيل الله.. فقد رأينا كيف أن الله - عز وجل- أعلى مقام هذه المرأة وأكرمها هى وأولادها إكرامًا عظيمًا.

(٥) يجوز للمسلم أن يطلب من الطغاة أمرًا له فيه صلاح، كما طلبت هذه المرأة من الطاغية دفن رمادها ورماد أولادها.

(٦) الجزاء من جنس العمل، فهذه المرأة لما انبعثت روائح احتراق جسدها وأجساد أولادها، جعل الله لها رائحة طيبة عطرة تفوح منها ومن أولادها فى السماوات

العلى. . . ويشمها رسول الله ﷺ .

(٧) تثبيت الله عباده الذين شاء لهم الكرامة فى المواقف الصعبة، فقد أنطق الله الطفل الرضيع، فأمر أمه بالثبات، وبذلك قطع ما دار فى خلدها من وساوس الشيطان التى كادت أن تهلكها.

❊ ❊ ❊

قصة أصحاب الغار

كـان هناك ثلاثة من بنى إسرائـيل يمشـون قريبًـا من الجبل.

وفجأة سمعوا صوت رعدٍ وبرق وبدأت الأمطار تسقط عليهم بـغزارة فأخـذوا يبحثـون عن أى مكان يأويهم من المطر.

فوجـدوا غارًا مـفتـوحًا فى الجـبل فدخلوا فى الـغار بسرعة حتى لا يؤذيهم المطر الغزير.

ومـا أن دخلوا الغار وأحـسوا بالراحـة والأمان حـتى

حدث شيء عجيب لم يكن فى الحسبان . . . يا ترى ما الذى حدث؟

لقد جرفت السيول الشديدة التى جاءت بسبب الأمطار الصخور الكبيرة من أعلى الجبل فانحدرت صخرة عظيمة من الجبل ومضت فى طريقها حتى استقرت على فم الغار الذى دخله هؤلاء الثلاثة فسدَّت الغار فأغلقته تمامًا حتى عزلتهم عن العالم الخارجى فأصبحوا وكأنهم يعيشون فى قبر من القبور.

فزع الثلاثة وقاموا يحاولون تحريك تلك الصخرة ولكن الأمر كان مستحيلاً فقد كانت الصخرة كبيرة جدًّا لا يمكن تحريكها. . . حقًّا إنها مصيبة كبيرة قد تقضى على حياتهم . . . فقد كان الصبر على الأمطار الغزيرة أهون بكثير مما هم فيه الآن.

* أصبحوا محصورين فى هذا الغار لا يستطيعون الخروج ولم تكن وسائل الاتصال الحديثة موجودة - كالموبايل.

ولو أراد أحد أن يبحث عنهم فلن يستطيع الوصول

إليهم؛ لأنه لن يخطر على بال أحد أنهم محبوسون وراء هذه الصخرة الكبيرة وحتى آثار أقدامهم أزالتها مياه الأمطار.

هنا أيقنوا جميعًا أنهم لا نجاة لهم إلا باللجوء إلى الله - جل وعلا.

فقام واحد منهم وقال لهم: لا بد أن يبحث كل واحد منا فى نفسه عن عمل صالح يكون قد عمله ابتغاء مرضاة الله فيتوسل به إلى الله أن يفرج عنا هذه الصخرة.

وبالفعل قام كل واحد منهم يتوسل إلى الله بعمل صالح عمله ابتغاء مرضاة الله.

* وقد توسل أولهم ببره بوالديه، وكان يعمل راعيًا، وأهل الرعى يعتمدون على حليب أغنامهم وأبقارهم وجِمالهم، وكان من أمره أن يحلب بعد عودته مواشيه، ثم يبدأ بوالديه فيسقيهما قبل أولاده وزوجته.

وفى أحد الأيام ابتعد فى طلب المرعى، فلم يعد إلا فى وقت متأخر من الليل، فحلب كما كان يحلب، وجاء بالحلاب إلى والديه، فوجدهما قد ناما، فكره أن

يوقظهما، وكره أن يسقى صغاره قبلهما، فبقى ليله ساهرًا، إناء الحليب على يده، وصغاره يبكون عند رجليه يريدون طعامهم، وهو يكره إيقاظ والديه، حتى طلع الفجر، فسقاهما، ثم سقى صغاره وأهله بعدهما.

ولا يعلم أحد غير الله مدى المشقة التى عاناها هذا الرجل فى تلك الليلة، فالأمر لم يكن سهلاً عليه، فهو رجل يرعى الغنم، وقد سار بعيدًا عن الديار، فأجهده المسير وأرهقه، وزاده رهقًا أنه لم يتناول عشاءه، أضف إلى هذا وذاك أن صغاره يبكون، وكم يألم الآباء إذا رأوا صغارهم جوعى باكين.

وقال الثانى: أما أنا ... فقد كان لى بنت عم جميلة... وكنت أحبها حبًّا شديدًا ... وفى أحد الأيام احتاجت بنت عمى للمال ... فجاءت تطلبه منى .. فرفضت ... لكننى تذكرت الله وشعرت بالخوف الشديد من عقابه - عز وجل - فأعطيتها المال الذى تحتاجه وانصرفت ولم أفعل بها سوءًا.

وتركتها وهى أحب الناس إلىَّ.

اللهم إن كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.

فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

* **وقال الثالث:** أما أنا . . . فاللهم إنى استأجرت بعض الرجال ليعملوا عندى وأعطيتهم أجرهم جميعًا غير رجلٍ واحد. . فقد ترك أجرته وذهب فانتظرته فلم يعد. . . فثمَّرت له ماله حتى كَثُرَت أمواله.

فجاءنى بعد زمنٍ يطلب أجرته فقلت له: كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والعبيد هو لك.

فظن الرجل أنى أستهزئ به.

فقلت له: أنا لا أستهزئ بك فقد ثمَّرت لك مالك فكل ما تراه فهو لك.

فأخذ الرجل المال كله ولم يترك منه شيئًا.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.

فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون.

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ :

«انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

قال رجلٌ منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بى طلب الشجر يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أُوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرج شيئًا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلىَّ، وفى رواية: «كُنت أحبها كأشدّ ما يحب الرجال النساء،

(١) وقوله: (لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً): أى: ما كنت أقدّم عليهما أحدًا فى شُرب نصيبهما عشاء من اللبن.
الغبوق: شُرب العشاء. الصبوح: شُرب أول النهار.
فلم أرح: أى: فلم أرجع. يتضاغون: أى: يصيحون ويستغيثون من الجوع.

فأردتها على نفسها، فامتنعت منى حتى ألَمَّت بها سَنَة من السنين، فجاءتنى، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها»، وفى رواية: «فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقِّه، فانصرفت عنها وهى أحبُّ الناس إلىَّ وتركت الذهب الذى أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أُجَراء وأعطيتهم أجرهم غير رجلٍ واحد ترك الذى له وذهب، فثمَّرت أجره حتى كَثُرَت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إلىَّ أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بى، فقلت: لا أستهزأ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤/ ٢٢١٥/ فتح) البيوع/ باب: إذا اشترى شيئًا لغيره، ومسلم (٢٧٤٣) فى الذكر والدعاء / باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة.

الدروس المستفادة:

(١) مشروعية التوسل إلى الله بصالح الأعمال، كما توسل هؤلاء الثلاثة إلى الله بأعمالهم الصالحة التى عملوها فأنجاهم الله.

(٢) أثر التقوى فى تخليص العبد من كربه وبلائه، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[١].

(٣) مشروعية الدعاء عند حلول الكرب والبلاء، وقد أمر الله بدعائه، فمن لا يدعو الله يغضب عليه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢].

(٤) بر الوالدين من أعظم الأعمال الصالحة التى يحبها الله وتُقرب إليه، وتخلص العبد من كرب الدنيا، وكرب يوم القيامة.

(٥) مخافة الله من العبادات العظيمة التى تدفع النقم، وتقى الفواحش، وتُقرب من الله، فقد كان الخوف من الله السبب فى ترك ذلك الرجل الفاحشة، وكان ذلك أحد الأسباب فى خلاصهم من الغار.

---

(١) سورة الطلاق: الآية: (٢).

(٢) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٦) فضل محافظة العبد على حقوق العباد وأموالهم، فقد حافظ صاحب المال على أجرة ذلك الأجير ونمَّاه له، ودفع إليه كل ما نتج عنه عندما جاء يطلب حقه.

(٧) بركة العمل فى الزراعة وتربية الأنعام والمواشى، فقد عمل صاحب الأرض لعامله فى أجره، فأصبح المال القليل كثيرًا، وبارك الله فيه فأصبح أضعافًا مضاعفة.

(٨) كان صاحب العمل محسنًا إلى العامل بتنمية ذلك المال، ولكن الأجير لم يحسن إلى رب العمل، فكان الواجب عليه أن يترك له من المال مقدار جهده وتعبه[١].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح القصص النبوى / د. عمر الأشقر (ص: ٢١١-٢١٣) باختصار.

قصة الأبرص والأقرع والأعمى

كان يا ما كان... كانت هناك مدينة جميلة تقع على شاطئ البحر وكانت الأشجار تحيط بها من كل مكان.

وكان يعيش فى هذه المدينة ثلاثة من الرجال الذين ابتلاهم الله عز وجل.

فأما الأول فكان مصابًا بالبرص وهو مرض خطير يصيب الجلد... وأما الثانى فكان أقرع ليس فى رأسه شعر... وأما الثالث فكان أعمى لا يرى... وفوق ذلك كله فلقد كان الثلاثة فقراء.

فأراد الله (عز وجل) أن يختبرهم فبعث إليهم مَلَكًا فى صورة رجل.

فجاء المَلَك إلى الرجل الأبرص وأخبره أنه سوف يحقق له كل ما يتمناه -بإذن الله-... فسأله: ماذا تتمنى؟

قال الأبرص: أتمنى أن يصبح جلدى جميلاً وأن يصبح

لونه جميلاً، فإن الناس يبتعدون عنى ولا يتكلمون معى بسبب لونى.

فقام الملك فمسح على جلده، فأصبح جلده جميلاً ولونه جميلاً ففرح الرجل فرحًا شديدًا.

قال له الملك: ماذا تريد من الأموال وأى المال أحب إليك؟

قال له الرجل: أحب الإبل.

فأعطاه الملك ناقة حاملاً فى شهرها العاشر وقال له: بارك الله لك فيها.

* **ثم ذهب الملك للرجل الأقرع وقال له:** سوف أحقق لك كل ما تتمناه -بإذن الله- فماذا تتمنى؟

قال الأقرع: أتمنى أن يصبح لى شعر جميل فإن الناس يبتعدون عنى بسبب ما أنا فيه.

فمسح الملك على رأسه فأصبح له شعر جميل... ففرح الرجل فرحًا شديدًا.

قال له الملك: أى المال أحب إليك؟

قال له الرجل: أحب البقر.

فأعطاه الملك بقرة حاملاً وقال له: بارك الله لك فيها.

* ثم ذهب الملك للرجل الأعمى وقال له: سوف أحقق لك كل ما تتمناه -بإذن الله- فماذا تتمنى؟

قال الأعمى: أتمنى أن يرد الله إليَّ بصرى لأرى الناس من حولى.

فمسح الملك على عينيه فعاد إليه بصره ففرح الرجل فرحًا شديدًا.

قال له الملك: أى المال أحب إليك؟

قال له الرجل: أحب الغنم.

فأعطاه الملك شاة والدًا وقال له: بارك الله لك فيها.

* ومرت الأيام وأصبح الثلاثة من الأثرياء... فأصبح للأبرص وادٍ من الإبل وأصبح للأقرع وادٍ من البقر... وأصبح للأعمى وادٍ من الغنم.

* وهنا جاء موعد الامتحان والاختبار.

فلقد جاء الملك مرة أخرى للأبرص فى صورة رجل فقير أبرص... أى جاءه على نفس هيئته التى كان عليها قبل ذلك حتى يرق قلبه ويتذكر نعمة الله عليه.

قال له الملك: أنا رجل فقير لا أملك شيئًا. . فأسألك بالله الذى أنعم عليك بهذا الجلد الحسن وأكرمك بهذا المال أن تعطينى ناقة أسافر عليها وأحلب لبنها.

فقال له الأبرص: لن أعطيك شيئًا. . . وأما عن هذا المال فلقد ورثته عن آبائى وأجدادى فأنا من عائلة ثرية.

فقال له الملك: كأنى أعرفك والله. . . ألم تكن أبرص يقذرك الناس فشفاك الله وأعطاك هذا الجلد الحسن. . . وكنت فقيرًا فأغناك الله.

قال الأبرص: كلا. . . لقد ورثت هذا المال عن آبائى وأجدادى.

قال له الملك: إن كنت كاذبًا فأسأل الله أن يردك إلى ما كنت عليه. فعاد الرجل أبرص كما كان. . . فقيرًا كما كان.

* وذهب الملك إلى الرجل الأقرع فى صورة رجل أقرع وفقير. . . أى جاءه على نفس هيئته التى كان عليها قبل ذلك حتى يرقَّ قلبه ويتذكر نعمة الله عليه.

قال له الملك: أنا رجل فقير لا أملك شيئًا. . فأسألك

بالله الذى أنعم عليك بهذا الشعر الجميل وأكرمك بهذا المال أن تعطينى بقرة قال له الأقرع: لن أعطيك شيئًا.

قال له الملك: كأنى أعرفك والله... ألم تكن أقرع يقذرك الناس فشفاك الله وأعطاك هذا الشعر الحسن... وكنت فقيرًا فأغناك الله.

قال له الأقرع: كلا.. لقد ورثت هذا المال عن آبائى وأجدادى فأنا من عائلة ثرية.

قال له الملك: إن كنت كاذبًا فأسأل الله أن يردك إلى ما كنت عليه فعاد الرجل أقرع كما كان... فقيرًا كما كان.

* ثم ذهب الملك إلى الرجل الأعمى فى صورة رجل أعمى وفقير... أى جاءه على نفس هيئته التى كان عليها قبل ذلك حتى يرق قلبه ويتذكر نعمة الله عليه.

قال له الملك: أنا رجل فقير لا أملك شيئًا.. وأعمى لا أرى... فأسألك بالله الذى أنعم عليك بنعمة البصر وأكرمك بهذا المال.. أن تعطينى شاة واحدة، فقال له الأعمى: والله لقد كنت أعمى فردَّ الله إلىَّ بصرى وكنت فقيرًا فأكرمنى الله بهذا المال... فخذ ما شئت من الأغنام

فوالله لا أمنع عنك أى شىء أخـذته منى فإنى أفعل ذلك طاعة لله -جل وعلا-.

فقال له الملك: بارك الله لك فى بصرك وفى مالك... فأنا ملك من الملائكة وقد كان هذا اختباراً لك ولصاحبيك فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك.

❊ ❊ ❊

❊ ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

«إن ثلاثة من بنى إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتـليهم، فبـعث إليهم ملـكًا، فأتى الأبرص، فـقال: أى شىء أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حـسن، وجلد حسن، ويذهب عنى الذى قد قذرنى الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأُعطى لونًا حسنًا.

قال: فأى المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل فـأُعطى ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرع فـقال: أى شىء أحبُّ إليك؟ قال: شـعر حسن، ويذهب عنى هذا الذى قـذرنى النـاس، فمـسـحـه عنه، وأُعطى شعراً حسنًا. قال: فأى المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر، فأُعطى بقرة حاملاً، وقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال: أى شىء أحبُّ إليك؟ قال: أن يردَّ الله إلىَّ بصرى، فأُبصر الناس... فمسحه، فرد إليه الله بصره، قال: فأىُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم فأُعطى شاة والدًا، فأنتج هذان وولَّد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين قد انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بعيرًا أتبلغ به فى سفرى، فقال: الحقوق كثيرةٌ. فقال: كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا، فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع فى صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى فى صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين وابن سبيلٍ انقطعت بى الحبال فى سفرى، فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله

ثم بك، أسألك بالذى ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلغ بها فى سفرى؟ فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إلىَّ بصرى، فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله ما أجهدك اليوم بشىء أخذته لله عز وجل.

فقال: أمسك مالك فإنما ابتُليتم فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك»[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٦/ ٣٤٦٤/ فتح) أحاديث الأنبياء/ باب: حديث أبرص وأعمى وأقرع، ومسلم (٢٩٦٤) فى الزهد.

الدروس المستفادة:

(١) ابتلاء الله لعباده، كما ابتلى الثلاثة، ليظهر الشاكر من الكافر، والصالح من الطالح.

(٢) فضل الشكر فى السراء، ومن الشكر الجود بالمال على مستحقيه، وعاقبة الكفر بالنعمة، ومن الكفر البخل بالمال على مستحقيه من أهل الفقر والمسكنة.

(٣) قدرة الملائكة على التمثل فى صورة البشر، كما فعل الملك المذكور فى الحديث.

(٤) لا يُعدُّ الملك كاذبًا عندما ادَّعى أنه رجل مسكين تقطعت به الحبال فى سفره، فمراده ضرب المثل بما فعل.

(٥) إذا بارك الله فى مال الرجل نما وكثر، وأصبح مالاً عظيمًا فقد كثَّر الله أموال الثلاثة الذين ابتلاهم، فأصبح لكل واحد منهم وادٍ يموج بالنعم، وأصل ذلك واحدة مما أُعطى من النعم، وقد يهلك المال الكثير ويبيد فى الزمن القليل.

(٦) ليس كثرة المال دليلاً على حب الله للعبد، فالله يختبر الذين يهبهم المال، كما اختبر الثلاثة بما أعطاهم.

(٧) قدرة الله على شفاء الأمراض المستعصية التى يظن البشر أنه لا شفاء لها، كالبرص والقرع والعمى.

قصة أصحاب الأخدود

كان ياما كان.

كان هناك ملك اسمه (ذو نواس) وكان يعيش فى بلدة تُسمى (نجران) فى اليمن.

وكان هذا الملك عنده ساحر يعمل له كل ما يستطيع من الحيل والأعمال السحرية؛ لكى يُقنع الناس بأن هذا الملك هو إله الكون الذى يستحق أن يُعبد من دون الله (جل وعلا).

وهذا الساحر فى الحقيقة هو أهون الناس على الملك، فإذا وجد الملك من هو أفضل منه تخلَّى عنه فى التو واللحظة بل إن حدث منه أى شىء يُغضب الملك فسرعان ما يتحول الملك إلى إعصار مدمر يعصف بحياة الساحر بلا تردد.

* وفى يوم من الأيام كان الساحر جالسًا مع الملك كعادته فإذا به يقول للملك: أيها الملك . . لقد أصبحت

كبيرًا فى السن وأشعر بضعفٍ شديد فى صحتى ولم أعد أستطيع أن أقدم إلا القليل من الحيل والأعمال السحرية.

الملك: وماذا تريد أيها الساحر .. فأنا لا أستطيع أن أستغنى عنك لحظة واحدة .. فأنت الذى تجعل الناس يطيعونى بل ويعبدونى بفضل أعمالك السحرية.

الساحر: أنا لن أتخلى عنك أبدًا يا سيدى .. لكنى أخشى أن أموت فيموت السحر معى .. فأنا أريدك أن تبعث لى غلامًا صغيرًا ذكيًّا أعلمه السحر ليكون ساحرًا لك بعد موتى .. وبذلك أضمن أن يستمر السحر من بعدى.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن: لماذا طلب الساحر من الملك أن يبعث إليه غلامًا صغيرًا ولا يبعث إليه شابًّا أو شيخًا كبيرًا؟!

والجواب: لكى يتعلم الغلام السحر من صغره ويبقى مع الملك أكبر وقت ممكن ليخدمه فى تنفيذ ما يريد .. ونحن نعلم جميعًا أن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر.

* وأنا أتعجب من أمر هذا الساحر الذى عاش حياته كلها كافرًا بالله (جل وعلا) وعلى الرغم من ذلك بدلاً من أن يفكر فى التوبة قبل أن يموت - فقد اقترب أجله - وإذا به يفكر كيف يستمر هذا الشر من بعده؛ ليكون ذلك فى ميزان سيئاته من بعده.. كما قال النبى ﷺ: **«ومن سَنَّ فى الإسلام سُنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن يَنقص من أوزارهم شىء»**.

* المهم أن الملك وافق على طلب الساحر.. وعلى الفور أمر الملك أعوانه أن يبحثوا عن أذكى غلام فى المملكة كلها ليكون ساحرًا للملك... وبعد بحثٍ طويل وقع الاختيار على غلام فى قمة الذكاء.. وذهبوا به إلى الملك، فرحب به وأخبره أنه سيتعلم السحر على يد الساحر الكبير؛ ليكون بعد ذلك هو الساحر الخاص بالملك.

* فرح الغلام فى بداية الأمر.. فهو الآن على أبواب الشهرة والثراء... وذهب الغلام إلى الساحر فى اليوم التالى، فوجد أن أعوان الملك قد أحضروا له ملابس جديدة وتركوا له أموالاً كثيرة، ففرح بذلك أشد الفرح

وعلم أنه سيصبح قريبًا من المشاهير الأثرياء فى هذه المملكة.

* وبدأ الساحر الكبير يعلم الغلام فنون السحر، والغلام يتعلم منه كل يوم شيئًا جديدًا . . والهدايا والأموال تنهال كل يوم على الغلام؛ لكى يحب السحر ويُخلص فى خدمة الملك بعد ذلك.

وتدبروا معى كيف أن الملك وكل من حوله يجندون كل طاقاتهم ليصنعوا من هذا الغلام ساحرًا كافرًا . . ولكن الله (عز وجل) يريد أن يصنع منه مؤمنًا موحدًا بل وداعية إلى دين الله (جل وعلا): ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾[1].

* وكان الغلام يذهب إلى الساحر كل يوم ليتعلم السحر على يديه. . . وكان الطريق من بيت الغلام إلى قصر الملك طويلاً وشاقًّا على الغلام فكان الغلام أحيانًا يجلس؛ ليستريح من التعب.

وبينما كان الغلام يومًا جالسًا ليستريح وإذا به يسمع صوتًا يصدر من بيت صغير. . وكان صاحب الصوت شيخًا كبيرًا وإذا به يقول: لا إله إلا الله . . يا فاطر

(١) سورة يوسف: الآية: (٢١).

السماوات والأرض.. يا حى يا قيوم، اللهم اجعلنى من عبادك الصالحين ..

فتعجب الغلام من تلك الكلمات .. ولم يعلم ماذا يقصد هذا الشيخ الكبير بهذه الكلمات ..

وانصرف الغلام وخاف أن يدخل على هذا الشيخ ليسأله.. ولكن الكلمات ظلت تتردد فى عقل هذا الغلام.

* ذهب الغلام إلى الساحر وبدأ يتعلم على يديه الدرس اليومى فى السحر، فظل الغلام يسمع تلك الطلاسم السحرية والكلمات التى لا يفهم منها أى شىء.. وأخذ يقارن بين كلمات الساحر التى لا يفهمها أحد وبين كلمات هذا الراهب الشيخ الكبير وهو يقول تلك الكلمات السهلة الجميلة، فأحسَّ الغلام لأول مرة بارتياح شديد لكلام الراهب.

* وفى اليوم التالى جلس الغلام بجوار صومعة الراهب يستمع إليه وهو يدعو بتلك الكلمات الجميلة.

وأصبح الغلام يمر على صومعة الراهب وهو ذاهب إلى الساحر وكذلك وهو عائد إلى بيته.. حتى أحسَّ

فجأة أنه يريد أن يدخل على هذا الراهب ليعرف من هو وماذا يصنع.

* وفى يوم من الأيام.. كان الغلام ذاهبًا إلى الساحر، فمرَّ على صومعة الراهب وسمعه وهو يقول: يا حى يا قيوم يا فاطر السماوات والأرض أنت الإله الحق، لا إله غيرك ولا ربَّ سواك.. أسألك باسمك الأعظم أن تغفر لى وترحمنى.

فدخل الغلام عليه فجأة وهو يبكى ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال الراهب: من أنت أيها الغلام الصغير؟

فقال الغلام: أنا ساحر الملك الصغير.. وقد سمعتك وأنت تقول هذه الكلمات الجميلة فتأثرت وأردت أن أعرف من هو هذا الإله الذى تعبده.

فقال الراهب: إنه الله الذى خلقنا ورزقنا وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

فقال الغلام: إن الناس يقولون إن الملك الذى يحكمنا هو الله.

فقال الراهب: يا بُنَى! إن الملك ما هو إلا بشر ضعيف لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا . . إنه بشر يحتاج إلى الماء والطعام والدواء، فهو يخدع الناس ويقول: إنه إله . . وليس هناك إله إلا الله.

فانشرح صدر الغلام وقال للراهب: علمنى كيف أعبد الله (جل وعلا).

فأخذ الراهب يعلم الغلام كيف يعبد الله وكيف يذكره وكيف يوحده، فأصبح الغلام مسلمًا عابدًا لله (جل وعلا).

* أصبح الغلام بعد ذلك يكره لقاء الساحر لكنه يذهب إليه؛ لأن الملك أمره بذلك.

وعلى الرغم من أنه يذهب للساحر إلا أنه أصبح زاهدًا فى تعلم السحر. . فقد علم أن هذا الساحر كذاب ودجال وأنه هو والملك على باطل.

* وفى المقابل أصبح الغلام يشتاق كل لحظة للقاء الراهب ليتعلم منه كيف يعبد ربه ويوحده.

فكان كلما ذهب إلى الساحر ضربه؛ لأنه تأخر

عليه.. وكلما ذهب إلى أهله ضربوه لأنه تأخر عليهم.. فشكا ذلك إلى الراهب فقال له الراهب: إذا سألك الساحر لماذا تأخرت؟ فقل: حبسنى أهلى.. وإذا سألك أهلك لماذا تأخرت؟ فقل: حبسنى الساحر.

وبذلك تخلَّص هذا الغلام من بطش الساحر وأهله.

* وفى يوم من الأيام كان الغلام فى طريقه إلى الراهب، فوجد الناس مذعورين خائفين.. فنظر فوجد أسدًا كبيرًا قد قطع الطريق على الناس.. فاغتنم الغلام هذه الفرصة وقال فى نفسه: اليوم أعرف وأتيقن أيهما أفضل عند الله: الساحر أم الراهب.

فأخذ الغلام حجرًا صغيرًا وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس.. فرماها فقتل الأسد ومضى الناس وهم يظنون أن الغلام قتل الدابة بسبب نبوغه فى السحر.

ولذلك علينا أن نتخيل هذا المشهد: غلام صغير، لا يستطيع أن يحمل إلا حجرًا صغيرًا فكيف يضرب الأسد بذلك الحجر الصغير فيموت؟! إن الحجر الذى أمسك به

الغـلام لا يقتل فـأرًا صغيـرًا، فضـلاً عن أن يقتـل أسدًا كبيـرًا. . لكنها كانت كرامة من الله أكـرم بها هذا الغلام لأنه لجـأ إلى الله وتوكل عـليـه. . وفى نفس الوقت أراد الله (عـز وجل) أن يُعـرفه طريـق الخيـر من طريق الشـر ليكون على يقين من أنه على الحق فيبذل من أجله كل ما يملك حتى نفسه التى بين جنبيه.

* ثم ذهب الغلام إلى الراهب وأخبره بما حدث.

فقال له الراهب: أى بُنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك مـا أرى . . ولكن اعلم أنك ستتعـرض لابتلاء شديـد، فإذا وقـعت فى هذا البلاء فـلا تدل الناس على مكانى ولا تخبرهم عنى.

وهذا درس عظيم فى التـواضع لأن الراهب أفضل من الغلام - بلا شك - فهو الذى علمـه التوحيد ولقَّنه العلم وعلى الرغم من ذلك يقول له: أنت اليوم أفضل منى.

وقد أجـرى الله على يد الغلام شـفاء المرضى، وإبراء الأكمه والأبرص، وكان يخـبر الناس أن الشافى هو الله، وأن من آمن بالله فـإنه يشفـيه، فكان يتـخذ من المعـالجة

طريقًا لنشر دعوته، ونشر الإيمان.

* فسمع جليس الملك - وكان أعمى - أن هناك غلامًا يداوى الناس من كل الأمراض.

فما كان من جليس الملك إلا أن أحضر الهدايا الثمينة والأموال الكثيرة وذهب لهذا الغلام فوجد زحامًا شديدًا على بابه فاستأذن من هؤلاء الناس ودخل على الغلام . . وإذا بالمفاجأة الكبرى!!

لقد علم جليس الملك أن الغلام الذى يداوى الناس من الأمراض هو ساحر الملك . . فقال له جليس الملك: لقد جمعت لك كل هذه الهدايا والأموال على أن تشفينى وترد إلىَّ بصرى.

فقال له الغلام: «إنى لا أشفى أحدًا إنما يشفى الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. . . فآمن بالله فشفاه الله».

هكذا بدأ الغلام يضع بذرة التوحيد فى قلب جليس الملك ليعلم أن الله وحده هو النافع الضار وأنه بيده مقاليد السماوات والأرض وأنه هو وحده الذى يملك الشفاء.

* والفائدة الثانية: أن الداعية الصادق يستغل حاجة الناس فى دعوتهم إلى الله عز وجل.

* ولكن جليس الملك كان متردداً، فقال للغلام: ومن هو الله؟

فقال الغلام: الله الذى خلقنا جميعًا وخلق الكون كله.. وهو الذى سيشفيك من مرضك إن آمنت به ودعوته.

جليس الملك: أليس ملك البلاد هو الله؟

الغلام: كلا .. إنه عبدٌ ضعيف ولو كان إلهًا لشفاك ولكن إن كنت فى شكٍّ، فاذهب الآن إلى الملك واطلب منه أن يرد إليك بصرك.

فتيقن جليس الملك أن الملك عبدٌ ضعيف، لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا.

فرفع جليس الملك رأسه إلى السماء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله.

فقام الغلام فدعا الله أن يشفى جليس الملك وأن يرد عليه بصره.

فشفاه الله وردَّ إليه بصره. . فصرخ جليس الملك من شدة الفرح وهو يردد: أشهد أن لا إله إلا الله. . أشهد أن لا إله إلا الله.

فقال له الغلام: لا تُخبر الملك عنى ولا تدله علىَّ.

فوعده جليس الملك بذلك، ثم خرج وهو فى قمة السعادة.

فلما أسلم جليس الملك وشفاه الله (عز وجل) جاء إلى الملك «**فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: مَن ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربى. قال: ولك ربٌّ غيرى؟ قال: ربى وربُّك الله**».

فأخذه فلم يزل يُعذبه حتى دل على الغلام.

ومع أن هذا الرجل كان جليسًا للملك إلا أن الملوك ليس عندهم وفاء لمن حولهم . . فما إن تعارضت وجهة الجليس مع وجهة الملك وإذا به يأمر بتعذيبه فى التوِّ واللحظة.

قال ﷺ: «**فجيء بالغلام، فقال له الملك: أى بنى قد بلغ من سحرك ما تُبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إنى**

لا أشفى أحداً إنما يشفى الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب».

* علم الملك أن الغلام وراء هذه الدعوة الجديدة على مملكته: دعوة التوحيد وإنكار ربوبية الملك، فماذا يفعل الطاغية لاحتواء هذه الدعوة؟

إن بطشه بالغلام الذى أحبه الناس وعرفوا إحسانه إليهم، وأنه هو الذى قتل الدابة، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويداويهم من سائر الأدواء؛ سوف يزيد من محبته ويجعله بطلاً أو شهيداً، ويصبح موته وقوداً دافعًا لاستمرار دعوته؛ فلا بد من محاولة الاستمالة أولاً، فهو يعرف جيداً حقيقة دعوة الغلام وأنها تهدف إلى تحقيق العبودية لله وحده ونبذ عبودية الملك، ومع ذلك يقول له: «أى بنى».

والنداء بالبنوة أول محاولات الاستمالة والتلطف، فهو يقول له: أنت ابنى وأنا الذى توليت تربيتك، ثم يقول له: «قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل».

فهو يريد أن يقول له: لا مانع عندى من استمرارك فى ما تفعل، بشرط أن تقول للناس: إن هذا سحر تعلمته فى مدرسة الملك، وأن ما تدعو إليه هو بتوجيهات الملك وتحت إشرافه وبرعايته، . . . وهو يقول له ذلك وهو على يقين من أنه هو الذى قال لجليسه ولغيره: ربى وربك الله، وأنه سبحانه الذى يشفى الناس.

رفض الغلام إذن أن يسمى ما يفعله سحرًا، وأبى إلا أن يجابه الملك بأن دعوته هى دعوة التوحيد الخالص بمقولته العظيمة: «**إنى لا أشفى أحدًا، إنما يشفى الله تعالى**»، وفشلت محاولة الاحتواء وإلباس الحق ملابس الجاهلية، فانكشف الملك على حقيقته ولجأ إلى الأسلوب المعتاد: البطش والتنكيل؛ فجىء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شِقَّاه».

وهنا وصل الملك إلى النبع الذى استقى منه الغلام وجليس الملك (الإيمان والتوحيد)، فأراد الملك أن يجفف هذا النبع وذلك بأن يتخلص منه ويقتله. . ولذلك لم

يتكلم معه بنفس اللطف الذى قابل به الغلام فى البداية بل قال له بكل صراحة ووضوح: ارجع عن دينك.

فأبى الراهب أن يرجع عن دينه رغم أنه يعلم أنه سيتعرض للعذاب الشديد.

فأمر الملك بقتل الراهب فى التوِّ واللحظة.

وكان الذى شجع الملك على قتل الراهب أنه لم يكن مشهورًا ومعروفًا بين الناس ولذلك لن يعترض أحدٌ لقتله.

وقتله الملك أبشع قتلة وذلك بأنه أمر أن يُنشر بالمنشار نصفين وعلى الرغم من ذلك صبر الراهب على هذه القتلة البشعة؛ لأنه يعلم يقينًا أن موت الجسد أفضل بكثير من موت الإيمان والتوحيد فى قلب العبد؛ لأن صاحب التوحيد لو قُتل عشر مرات فإنه سيحيا فى جنات النعيم وسيَجبر الله كسره فى تلك الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. بل إنه سينسى كل شقاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن.

فجىء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى

فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقَّه به حتى وقع شقاه».

* لقد حدث لجليس الملك مثلما حدث للراهب... لقد ذاق الرجل حلاوة الإيمان فهان عليه أن يقدم حياته لله (جل وعلا) بدلاً من أن يعيش مُنعمًا فى قصر الملك وهو بعيد عن الله (سبحانه وتعالى).

ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشى إلى الملك، فقال الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى.

* لقد كان الملك حتى هذه اللحظة لا يريد أن يقتل الغلام؛ لأنه مازال عنده بريق أمل فى أن يستخدمه فى السحر ويستفيد من مواهبه وإمكانياته.. فاختار طريقة لقتله يستطيع الغلام من خلالها أن يفكر مرة أخرى.

طلب الملك من زبانيته أن يذهبوا بالغلام إلى أعلى

الجبل ويعرضوا عليه أن يرجع عن دينه أو يلقوه من قمة الجبل . . ومن المعلوم أنهم سيسيرون مسافات طويلة؛ لكى يفكر الغلام مرة بعد مرة.

ولكن الغلام كان الإيمان فى قلبه ثابتًا ثبات الجبال الراسيات، فلم يضعف قلبه ولم ترتعد فرائصه لحظة واحدة بل كان يتمنى الشهادة فى سبيل الله من أجل أن تحيا الأمة كلها على التوحيد والإيمان.

* ولما صعدوا به فوق الجبل ما كان من الغلام إلا أن لجأ إلى الله وتوكل على الحى الذى لا يموت فقال بقلبه ولسانه: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**» ولم يختر الغلام الطريقة التى ينجيه الله بها من كيد هؤلاء بل ترك الأمر لمالك المُلك وملك الملوك (جل وعلا) ليدبر له الأمر وينقذه بالطريقة التى يراها هو (سبحانه وتعالى).

فما كان من الحق (جل وعلا) إلا أن أمر الجبل فتزلزل بهم الجبل وسقطوا جميعًا - وهم الرجال الأشداء الأقوياء - وبقى الغلام الصغير الضعيف فى جسده القوى فى إيمانه . . بقى الغلام سالمًا بأمر الله (عز وجل).

إنه التوكل على الله وإنها الثقة فى الله الذى بيده مقاليد الأمور.

* وعاد الغلام إلى الملك مرة أخرى!!

وقد يسأل سائل ويقول: ما الذى جعل الغلام يعود إلى الملك مرة أخرى ولم يهرب مع أنه على يقين من أن الملك يريد أن يقتله؟!

والجواب: إن الغلام لا يريد النجاة لنفسه بل يريد الحياة لأمته، فهو يريد أن تنتصر العقيدة مهما كان الثمن ولذلك رجع ليعلم الكون كله أنه لن يكون إلا ما قدره الله.

فكان الغلام يريد أن يرجع إلى الملك؛ لأنه حريص على هداية الأمة .. وهذا هو شأن الدُّعاة المخلصين الذين يتحملون كل أنواع الأذى والبلاء من أجل أن تحيا الأمة فى ظلال التوحيد والإيمان.

ولك أن تتصور كم كانت دهشة الملك وهو يرى الغلام الصغير حيًّا يمشى إليه، وقد ذهب الأصحاب من الجنود الأشداء الأوفياء لملكهم إلى غير رجعة!!

فيسأل الغلام متعجبًا: ما فعل أصحابك؟! فيقول الغلام: كفانيهم الله تعالى. فلم يخبره بما جرى.

ولم يُعلق بكلمة واحدة على تلك الكرامة التى أكرمه الله بها ولكنه اكتفى بأن يذكر للملك بأن الله هو الذى كفاه شرَّ هؤلاء الرجال، فهو وحده الله الذى يستحق أن نتوكل عليه وليس أنت أيها الملك الضعيف الذليل.

* فأرسله الملك مع نفر من أصحابه، فقال لهم: اذهبوا به فى سفينة صغيرة وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت؛ فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، ورجع يمشى إلى الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى.

وهنا لجأ الملك إلى حيلة أخرى لقتل الغلام.. ولكنه اختار أيضًا طريقة تجعل الغلام يفكر مرة أخرى.

وكأن الملك حتى تلك اللحظة لم يعرف أن الغلام لو عُرض على القتل كل يوم مائة مرة، فلن يرجع عن دينه أبدًا.

* فأمر الملك زبانيته أن يأخذوا الغلام إلى البحر ويهددوه بالرجوع عن دينه أو أن يقذفوا به فى وسط البحر.. فأبى الغلام.

وبنفس الثقة فى الله والتوكل على الله لجأ الغلام إلى الحق (جل وعلا) وقال: «**اللهم اكفنيهم بما شئت**» فما كان من أمواج البحر إلا أن تفاعلت مع تلك الكلمة - بأمر الله - «**وما يعلم جنود ربك إلا هو**».

فانكفأت السفينة وغرقوا جميعًا - وهم الرجال الأشداء الأقوياء - وحملت مياه البحر هذا الغلام الصغير ليصل إلى الشاطئ سالمًا غانمًا.. ومع ذلك لم يفكر أبدًا فى الهروب بل عاد إلى الملك ليعطى الكون كله درسًا فى الثبات على الدين والإصرار على انتصار الإيمان والعقيدة.

فتعجب الملك.. كيف يعود الغلام هذه المرة أيضًا سالمًا. وكان الملك يظن أن ربَّ الغلام الذى نجاه من على الجبل لن يستطيع أن ينجيه من البحر... فسأل الملك الغلام: «**ما فعل أصحابك؟**».

قال الغلام بثقة ويقين: «كفانيهم الله».

* ثم تحول الغلام من مأمور إلى آمر .. فقام يأمر الملك، فقال للملك: إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به، قال الملك: وما هو؟

قال: تجمع الناس فى صعيد واحد، ثم تصلبنى على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتى، ثم ضع السهم فى كبد القوس، ثم قل: «بسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمنى؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى».

* لقد أحسَّ الملك بعجزه الشديد وأنه لا يستطيع أن يقتل هذا الغلام الصغير ولا حتى أن يكون سببًا فى هروب الغلام وخروجه من مملكته؛ ليحفظ الملك ماء وجهه أمام رعيته الذين علموا بعجزه عن قتل غلام صغير مع أنه يدَّعى أنه إله من دون الله (عز وجل).

* وهنا يتحول الغلام الصغير من مأمور إلى آمر.. يقوم الغلام ليأمر الملك ويقول له: «إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به».

الله أكبر!! يا لها من كرامة... أن يتحول الغلام من

مأمـور إلى آمر بل ويخبر الملك بعـجزه وضعفـه عن قتله حتى يفعل الأمر الذى يوجهه الغلام إليه.

* ولما كان الملك قد أحس بأن وجود هذا الغلام أصبح خطرًا على مُلكه قال له بلهفـة وشوقٍ: «وما هو؟» أى ما هو الطريق الذى يجعلنى أستطيع أن أقتلك.

فـقال له الغـلام الذكى: «تجـمع الناس فى صعـيد واحـد» وذلك ليرى الناس جميعًا هذا المشهد ويعلموا الحقيقة كلها ويعـرفوا أنه لا شىء يحـدث فى الكون كله إلا بأمـر من الله (عز وجل).

* وقول الغـلام للملك: «ثم تصلبنى على جـذع» ليظهر للجميع الظلم الواقع على الغلام بدون جريمة ارتكبها إلا أن يقول ربى الله، وهذا بالتـأكيد من أسبـاب ميل الناس إليه وتعاطفهم معه ومع دعـوته؛ فقد فطر الله العباد على كراهية الظالم وعداوته والميل إلى المظلوم ومناصرته.

فإذا أُضـيف إلى ذلك أنهم يعلمـون عن المظلوم حـبّه للخير وحرصه على الإحسان إلى الناس، وجربوه من قبل فى قضاء حوائجهم، وكونه كان دائمًـا مستشعرًا لمشاكلهم

فى حين غابت مشاكلهم عن الملك وحاشيته؛ بداية من الدابة التى قتلها وانتهاءً بأمراضهم المستعصية التى كان لا يستطيع، بل ولا يلتفت إلى محاولة مداواتها، فلا شك أن هذه الأمور مجتمعة تجعل هذا الجمع كله يعلم الظلم الواقع على الغلام، وعندما يتساءلون ما جريمته؟ يقال: لا شىء إلا أنه يقول ربى الله.

فهكذا ينبغى أن يكون الدُّعاة إلى الله حريصين على ألا يكون لهم تهمة إلا أن يقولوا: ربُّنا الله، مع إحسانهم إلى الناس... وعليهم ألا يحزنوا من الظلم الواقع عليهم، فإنه قدَّره الله لحِكمٍ عظيمة لانتشار دينه وقبول الناس له، كما أنه سرعان ما يزول، فيكون لهم الأجر الجزيل عند ربهم.

وقول الغلام للملك: «ثم خذ سهمًا من كنانتى» مزيد من إظهار عجز الملك وأنه ليس بيده الأمر، فلو أخذ سهمًا من كنانة الملك لم يقتل الغلام حتى يأخذه من كنانة الغلام؛ ليعلم الناس أن الأمر أمر ربُّ الغلام، وأن قتل الغلام كان بإرادته لا إرادة الملك.

وفى أمره أن يقول: «بسم الله رب الغلام» إعلان بالعجز التام والافتقار القهرى الاضطرارى إلى الله سبحانه.

* فإن قيل: ألم يكن الغلام يعلم باحتمال أن يقتل الملك الناس لو آمنوا، . . . بل يغلب على ظنه ذلك، وهو يعلم عجز الناس عن الدفاع عن أنفسهم، فهو بالتالى قد ألزمهم الصبر على القتل خلافًا لما ذكرت؟

فالجواب: أن الموازنة هنا بين البقاء على الكفر مع الحياة أو الدخول فى الإسلام مع القتل، ولا شك أن الدين مُقدَّم على النفس.

* فقام الملك وجمع الناس فى صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم فى كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم فى صدغه، فوضع يده فى صدغه فمات، فقال الناس: «آمنا بالله رب الغلام».

* وفعل الملك ما أمره به الغلام . . وكان هذا الملك فى غاية الغباء لأنه لو ترك الغلام يدعو الأمة إلى توحيد الله لما آمن معه إلا القليل ولكنه لما قُتل الغلام؛ آمنت

الأمة كلها وقاموا جميعًا على قلب رجلٍ واحد فقالوا: آمنا بالله رب الغلام.

* ورحل الغلام الشهيد عن دنيا الناس عزيزًا كريمًا.. وهو الذى صدق الله فصدقه الله وآمنت الأمة كلها لتأتى يوم القيامة فى ميزان حسنات الغلام ومن قبله الراهب الذى علَّم الغلام التوحيد لله (جل وعلا) وقُتل قبل أن يرى ثمرة دعوته.. وهذا أمر يحفز الدُّعاة على بذل وسعهم فى الدعوة وإن لم يروا ثمرة دعوتهم فى حياتهم، فقد تأتى الثمرة بعد موت الداعية.

«فأُتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟! قد والله نزل بك ما كنت تحذر، قد والله آمن الناس، فأمر بالأخاديد (الحُفر) بأفواه السكك فخُدَّت «أى حُفرت»، وأُضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبىٌ لها، فتقاعست أن تقع فيها (أى ترددت وهمَّت أن ترجع)، فقال لها الغلام (أى ابنها الصبى): يا أمه! اصبرى، فإنك على الحق».

* فقامت البطانة السيئة لتخبر الملك بأن الأُمَّة قد آمنت بالله (عز وجل) فما كان من الملك - الذى لا يملك الحُجة ولا الإقناع - إلا أن لجأ إلى البطش والعنف، فأمر زبانيته أن يحفروا الأخاديد فى أفواه السِّكك حتى لا يترك مكانًا يستطيع الناس أن يهربوا منه.

وجىء بالموحدين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان منذ ساعات معدودة وخيّروهم بين الكفر وبين دخول نار الدنيا، فاختاروا جميعًا أن يموتوا على التوحيد والإيمان وأن يدخلوا نار الدنيا على أن يكفروا بالله (عز وجل) ويدخلوا نار الآخرة التى هى أشد من نار الدنيا سبعين مرة.

* * *

المشهد الأخير

ويأتى هذا المشهد الأخير المؤثر.

قال ﷺ: «حتى جاءت امرأة ومعها صبىٌّ لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه اصبرى فإنك على الحق».

ويا له من مشهد مهيب أن يُنطق الله هذا الطفل الصغير، ليربط على قلب أمه ولتعلم يقينًا أنها على الحق.

* وهكذا رحل هؤلاء الشهداء الأبرار عن دنيا الناس؛ ليسعدوا بالنعيم المقيم فى جنة الرحمن (جل وعلا).

* ولقد ذكر الله قصتهم فى سورة البروج، فقال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (١).

أولئك هم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله فى كتابه وذكرهم الرسول ﷺ فى سُنته.

---

(١) سورة البروج: الآيات: (٤ - ١٠).

لم ينتقموا منهم ويحرقوهم إلا لأنهم آمنوا بالله، وهذه هى سُنة الله فى خلقه المؤمنين الموحدين.

ولا تزال الحرب بين الإيمان وأهله والكفر وأهله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

نسأل الله أن يثبتنا على ديننا حتى نلقى نبينا ﷺ على حوضه يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

الدروس المستفادة:

(١) حرص أهل الشَّرِّ على استمرار شرهم من بعدهم، كما حرص الساحر على تعليم من يرث علمه الفاسد، ليبقى هذا العلم حيًّا يضلُّ به عباد الله.

(٢) أن السحر من كبائر الذنوب، ومن أهل العلم من ذهب إلى أن السحر كفر؛ لأن السحر لا يتمُّ إلا مع الكفر وتعظيم الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[1].

(٣) اختار الملك الغلام ليكون الساحر الذى يثبت دعائم ملكه، وأراد الله له أن يكون الداعية الصالح الذى يدمر ملكه، ويهدى الناس إلى الدين الحق، وفى ذلك آية للمعتبرين، فالله يهيئ لدينه رجالاً.

(٤) الإيمان لا يحتاج إلى وقت طويل؛ كى يستقر فى القلوب، ويحيى النفوس، فالقوم الذين رضوا بعذاب النار لم يكن مضى على إيمانهم ساعات قليلة، . . . ومثل هؤلاء سحرة فرعون آمنوا، فلم يردعهم جبروت فرعون وعذابه عن الإيمان.

---

(١) سورة البقرة: الآية: (١٠٢).

(٥) قد يُجرى الله على يد بعض أوليائه كرامات يؤيده بها، ويثبت بها إيمانه ويقينه، فالغلام لم يكن نبيًّا، وقد استجاب الله له فى قتل الدابة، وأجرى على يديه إبراء الأكمه والأبرص، ومداواة المرضى، واستجاب دعاءه فى تخليصه من القتل، والقضاء على أعوان الملك الذين أمرهم بقتله.

(٦) التضحية بالنفس فى سبيل الله ليست من الانتحار فى شىء، فالغلام دَلَّ الملك على الطريقة التى يقتله بها، والمؤمنون كان بعضهم يُلقَى فى النار، وآخرون يقتحمونها، ولم يكن اقتحامهم لها انتحارًا، بل كان فيه إغاظة للظالمين، وإرضاء لله رب العالمين.

(٧) شدة عداء أهل الكفر لأهل الإيمان، فقد نشر أعوانُ الملك الراهِب وجليس الملك بالمنشار، وأحرقوا الناس بالنيران.

(٨) حفظ الله لأوليائه، وإذلاله لأعدائه، فقد حفظ الغلام من القتل، واستجاب دعاءه، فأهلك من أرادوا به سوءاً.

(٩) وجوب الصبر على الأذى فى الله، كما صبر الراهب وجليس الملك والغلام، وكما صبر المؤمنون على الحرق بالنار.

(١٠) جواز الكذب فى الحرب ونحوها، فقد أرشد الراهب الغلام إلى أن يدَّعى أن الكاهن حبسه إذا سأله أهله، وأن أهله حبسوه إذا سأله الكاهن.

(١١) قد يضعف رجل العقيدة عن احتمال الأذى، وقد يبوح بأسرار لا يجوز له البوح بها من شدة العذاب، فجليس الملك الذى ردَّ الله عليه بصره دل على الغلام تحت وطأة العذاب، والغلام دل على الراهب لما ناله من العذاب، ومع ذلك فلم يُنقص اعترافهما من مكانتهما، ولكنهما احتملا العذاب الذى أدَّى بهما إلى الموت عندما طُلب منهما التنازل عن عقيدتهما، والكفر بالله.

(١٢) قد يكون التلميذ أفضل من شيخه، فقد حقق الغلام ما لم يستطع الراهب تحقيقه، ويبقى للراهب فضل هداية الغلام.

(١٣) التضحية بالنفس فى سبيل نشر الدعوة، حيث دل الغلام الملك على الطريقة التى يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان بالله، ولو كان الوصول لذلك على حياته هو.

الرجل الذى قتل مائة نفس

كان ياما كان... كان هناك رجل يعيش فى قرية مليئة بالأشرار الذين يقتل بعضهم بعضًا ليل نهار ولا يجدون من يُنكر عليهم.

وكان هذا الرجل يعيش فى صراع مع نفسه... فهو إما أن يكون قاتلاً أو مقتولاً وذلك لأن أهل هذه القرية لا يعرفون إلا القتل فاختار هذا الرجل أن يكون قاتلاً... حتى إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم ندم ندمًا شديدًا وقرر أن يتوب ولا يقتل أحدًا أبدًا بعد ذلك اليوم خوفًا من عذاب الله يوم القيامة... سأل هذا الرجل كل من حوله عن أعلم أهل الأرض فدلوه على أعبد أهل الأرض... والعابد قد يعبد الله على جهل ولا يعلم شيئًا.

ذهب الرجل للعابد وقال له:

أيها العابد! جئت أسألك عن شيء؟

قال له العابد: قل أيها الرجل ما سؤالك؟

قال له الرجل: قتلت تسعة وتسعين رجلاً.

نظر العابد للرجل فى تعجب: قلت: قتلت تسعة وتسعين رجلاً؟!

قال له الرجل: نعم.. قتلت تسعة وتسعين.

قال له العابد: ماذا تريد منى إذن؟

قال له الرجل: أريد أن أتوب.. فهل يتقبل الله منى التوبة؟

نظر العابد للرجل وقال له: لا... لن يتقبل الله توبتك.. وسيعاقبك عقابًا شديدًا؛ لأنك قتلت تسعة وتسعين رجلاً، فكيف يقبل الله توبتك بعد كل هذه الجرائم؟!!

شعر الرجل بالضيق من كلام العابد... فقتله هو الآخر.

وبذلك قتل الرجل مائة شخص.

مشى الرجل وهو يشعر بالحزن الشديد والندم لأنه قتل العابد.

ثم أخذ الرجل يسأل الناس حتى دلوه على رجل عالم..

فذهب الرجل للعالم وأخبره بحكايته... وأنه قتل مائة رجل.. فقال له العالم فى تعجب: قتلت مائة رجل؟!

قال له الرجل: نعم قتلت مائة رجل.

قال له العالم: وماذا تريد؟

قال له الرجل: أريد أن أتوب، فهل يتقبل الله منى التوبة!

قال له العالم: نعم.. سيقبل الله منك التوبة... فالله غفور رحيم.

شعر الرجل بالفرح الشديد عندما علم أن الله سيقبل توبته.

فقال له العالم: ولكن كى يقبل الله توبتك فعليك أن تفعل شيئًا مهمًا.

قال له الرجل: ما هو وسأنفذه فى الحال؟

قال له العالم: اترك هذه القرية التى تعيش فيها فهى قرية سيئة، وأهلها أشرار.. واذهب لقرية أخرى أهلها طيبون... صالحون.. كى تعبد الله معهم.

نفذ الرجل كلام العالم وقرر أن يذهب لقرية أخرى.

فترك الرجل القرية وتوجه إلى القرية الصالحة.

ولم يعلم هذا الرجل التائب أن ملك الموت فى انتظاره فى منتصف الطريق فقبض ملك الموت روحه فى منتصف الطريق قبل أن يصل إلى القرية الصالحة.

فأرسل الله له ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

واختلفت الملائكة أيهما يقبض روحه: ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب فملائكة الرحمة تقول: إن هذا الرجل جاء تائبًا مُقبلاً بقلبه على الله.

وملائكة العذاب تقول: إنه قتل مائة رجل ولم يعمل خيرًا قط.

فأرسل الله إليهم مَلَكًا فى صورة بشر فقال لهم: قيسوا المسافة التى مات عندها هذا الرجل.

فإذا كان هذا الرجل قريبًا من القرية الصالحة تأخذه ملائكة الرحمة.

وإذا كان هذا الرجل قريبًا من القرية الفاسدة فتأخذه ملائكة العذاب.

فأمر الله - سبحانه وتعالى- الأرض التى بينه وبين القرية الصالحة أن تتقارب، وأن تتباعد المسافة بينه وبين القرية الفاسدة..

فقاسوا المسافة فكان أقرب إلى القرية الصالحة بشبرٍ واحد فكان من أهلها فقبضته ملائكة الرحمة ليكون من أهل الجنة.

* * *

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذا الرجل، فقال ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهبٍ، فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟

فقال: لا، فقتله، فكمَّل به مائة.

ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على رجلٍ عالم، فقال: إنه قتل مائة نفسٍ فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلِق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوءٍ.

فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه

ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك فى صورة آدمى، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

وفى رواية: «... فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقرَّبى، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدى، وقال: قيسوا ما بينهما، فوُجد إلى هذه أقرب بشبرٍ، فغفر له».

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخارى (٣٤٧٠) كتاب أحاديث الأنبياء - ومسلم (٢٧٦٦) كتاب التوبة.

الدروس المستفادة:

(١) أن الصُّحبة السيئة والمجتمع السيئ يؤثر على سلوك الإنسان وحياته . . . ولقد رأينا كيف أن هذا الرجل لما عاش فى تلك القرية التى انتشر فيها القتل قتل تسعة وتسعين نفسًا.

(٢) أن المسلم مهما فعل من الذنوب والمعاصى فلا ينبغى أن ييأس من رحمة الله بل عليه أن يتوب إلى الله - جل وعلا- لأن رحمة الله واسعة.

(٣) أن المسلم لابد أن يسأل أهل العلم حتى يدلوه على الطريق الصحيح الذى يوصله إلى الجنة ويبعده عن النار.

(٤) أن الله يقبل توبة كل عاصٍ ولو كان قاتلاً إذا تاب توبة صادقة.

(٥) أن العالم أفضل من العابد. . . فقد رأينا كيف أن العابد أغلق باب التوبة فى وجه هذا الرجل التائب فقتله. . . وأما العالم فقد فتح أمامه باب الأمل وأرشده إلى أنه يجب عليه أن يترك قرية الأشرار وأن يذهب إلى

القرية الطيبة التى يسكنها أُناس طيبون ليعبد الله معهم.

(٦) أن المسلم إذا أخلص النية لله فإن الله يكرمه ويُسخر له الكون. . . فقد رأينا كيف أن الله أمر الأرض الطيبة أن تقترب حتى يكون هذا الرجل أقرب إليها بشبرٍ واحد لتقبضه ملائكة الرحمة فيكون من أهل الجنة.

(٧) لا بد من فتح باب الأمل أمام العصاة حتى يتوبوا ولا يقنطوا من رحمة الله.

الرجل الذى استلف ألف دينار

كان ياما كان... كان هناك تاجر أمين فى بنى إسرائيل حدثت له ضائقة مالية واحتاج لمن يُقرضه مبلغًا من المال ليشترى به بضائع من أجل التجارة.

فذهب إلى رجل من أصحاب الأموال الذين عُرف عنهم أنهم يُسلِّفون الناس فطلب منه أن يسلفه ألف دينار... وهو مبلغ كبير جدًا.

فطلب منه الرجل الذى سيُقرضه إياه أن يأتى بالشهود الذين يشهدون أنه أخذ هذا المال.

فقال له: كفى بالله شهيدًا.

فطلب منه صاحب المال أن يأتيه بكفيل يضمنه إذا عجز عن السداد، فقال له المقترض: كفى بالله وكيلاً وكفيلاً.

* ولقد كان صاحب المال رجلاً صالحًا فلم يراجع المقترض عندما قال له ذلك فأعطاه الألف دينار ورضى بالله شهيدًا وكفيلاً.

* ومضى المقترض بالألف دينار بعد أن حدد له موعداً لسداد الدَّين.

أخذ التاجر المال وتوجه إلى البحر وركب السفينة وسافر.. وفى السفر كسب أموالاً كثيرة... ثم وجد التاجر أن الشهر الذى حدده قرب أن ينتهى؛ لذا عليه أن يعود لبلده ويعطى المال لصاحبه.

جهز التاجر المال وقرر العودة كى يعطى جاره ما أخذه من أموال.

وعندما وصل التاجر لشاطئ البحر.. ظل يبحث عن سفينة فترة طويلة ليعود بها إلى بلده.. لكنه لم يجد سفينة؛ لأن الأمواج كانت عالية.

وقف التاجر على شاطئ البحر لا يدرى ماذا يفعل..

أخذ التاجر يفكر ماذا يفعل.. وبينما هو يمشى على شاطئ البحر رأى خشبة تعوم فوق الماء فنظر التاجر للخشبة وظل يفكر حتى توصل للحل..

أخذ التاجر الخشبة وثقب بها فتحة، ثم وضع بداخلها المال الذى أخذه وبعث أيضًا خطابًا لصاحبه يخبره فيه أنه

بعث إليه بالمال. . . وأنه لم يستطع الرجوع عند انتهاء الشهر.

ثم أغلق التاجر الغطاء على المال والخطاب جيدًا، ثم ألقى الخشبة فى الماء ودعا الله أن يجعل المال يصل لجاره صاحب الألف دينار.

حملت الأمواج الخشبة والتاجر واقف على الشاطئ ينظر إليها حتى اختفت من أمامه.

* ولم يكن هذا الرجل غبيًّا ولا مخبولاً عندما وضع الألف دينار فى الخشبة ولكنه أراد أن يرد المال لصاحبه فى الموعد المحدد ولم يجد سفينة يسافر بها إليه ففعل ما قدر على فعله ووكل أمره إلى الله وكان عنده يقين وثقة فى

الله أن الله سيتولى حفظ هـذه الخشبة حتى تصل بالألف دينار إلى صاحبها.

* وكان علـى الشاطئ الآخـر صاحب المال قـد خرج ينتظر قدوم صاحبه ليعطيه المال وبخاصة وأنه كان فى هذا الوقت فى أشد الحاجة إلى ماله.

وبعد طـول انتظار علم أن صاحـبه لن يأتى فـقرر أن يعود إلى منزله وفى تلك اللحظة نظر الرجل صاحب المال فرأى خشبة تعوم فوق الماء فنزل وأخـذها ليشعل فيها النار ليسـتدفئ بهـا هو وزوجته وأولاده. وكـان من الممكن أن تغوص الخشبة أو تحملها الأمواج إلى مكان بعيد لكن الله قدر أن تصل إلى صاحب المال.

* أخذ الرجل تلك الخشبـة وذهب بها إلى البيت فلما كسرها وجد فيها المال والخطاب الذى كتبه له صاحبه.

فرح الرجل فرحًـا شديدًا وحمد الله علـى عودة ماله إليه.

* أما الرجل المقـترض فإنه خشى أن تكون الخـشبة لم تصل لصاحب المال فأخذ ألف دينار أخرى واستأجر سفينة

فى اليوم التالى وذهب إلى صاحب المال وشكره على ما فعله معه وأخرج له الألف دينار فقال له صاحب المال: أمسك عليك مالك فقد وصلتنى الخشبة بالأمس وفيها المال والخطاب الذى بعثته.

* وهكذا حفظ الله تلك الخشبة ووصل المال لصاحبه.

❊ ❊ ❊

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فأخبر: «أن رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال: ائتنى بالشهداء أُشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائتنى بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت.

فدفعها إليه على أجل مُسمًّى، فخرج فى البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجَّله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة، فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجَّج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر.

فقال: اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلَّفت فلانًا ألف دينار، فسألنى كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضى بك، وسألنى

شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضى بك، وأنى جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذى له، فلم أقدر، وإنى أستودعكها.

فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو فى ذلك يلتمس مركبًا، يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها، وجد المال والصحيفة.

ثم قَدِم الذى كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله مازلت جاهداً فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذى أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلىَّ بشىء؟ قال: أُخبرك أنى لم أجد مركبًا قبل الذى جئت فيه، قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذى بعثت فى الخشبة، فانصرِف بالألف الدينار راشداً» (١).

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخارى (٢٢٩١) كتاب الكفالة.

الدروس المستفادة:

(١) أن من أخذ دَيْنًا وهو ينوى أن يؤديه؛ أعانه الله على أدائه.

(٢) الوفاء بالوعد؛ فإن هذا الرجل لما جاء موعد سداد الدين، ولم يستطع الوصول إلى صاحبه وضع النقود فى خشبة ورمى بها فى البحر، وهو على يقين بأن الله سبحانه وتعالى سوف يساعده على أداء دَينه؛ لأنه اتخذه وكيلاً وشهيدًا.

(٣) لما حفظ هذا الرجل عهده ووفَّى بوعده، حفظ الله له ماله وساق الخشبة على الأمواج إلى صاحب الدَّين، ولم تذهب يمينًا ولا يسارًا، فسبحان من سيَّرها!!

(٤) اعتمد على الله سبحانه فى كل أمورك، ولا تعتمد على نفسك، ولا على حولك ولا قوتك، واجعله كفيلك وحسبك واصدق فى ذلك ولن يضيعك الله أبدًا.

(٥) الأمانة؛ فإن هذا الرجل صاحب المال اعترف للآخر بأنه قد وجد النقود فى الخشبة ولم ينكر، ولم يأخذ منه الألف الأخرى.

قصة السحابة

كان ياما كان. . . كان هناك رجل صالح اسمه أحمد يعيش فى قرية جميلة مليئة بالزروع والثمار.

وفى يوم من الأيام تذكر أحمد أنه منذ سنة لم يذهب إلى عمه ليزوره وخرج أحمد لزيارة عمه فى إحدى القرى البعيدة التى كان يفصل بينها وبين قريته صحراء شاسعة.

ركب أحمد حصانه وخرج من قريته ذاهبًا لزيارة عمه وبدأ يسير فى تلك الصحراء الشاسعة. . . وبعد فترة بدأ يشعر بالتعب والعطش.

ظل أحمد يبحث عن الماء لفترة طويلة فقد نفد الماء الذى معه ويريد أن يشرب الماء ويستريح قليلاً من عناء الطريق.

وبينما كان أحمد يبحث عن الماء وإذا به يرى فى وسط الصحراء الشاسعة سحابة كبيرة فى وسط السماء على

الرغم من الحرارة الشديدة!!!

وفجأة سمع أحمد صوتًا يصدر من السحابة ويقول: اسقِ حديقة عبد الله.

فتعجب أحمد وقال فى نفسه: هل من المعقول أن يصدر هذا الصوت من السحابة؟

ويا تُرى من هو عبد الله الذى جاء الأمر للسحابة بأن تسقى حديقته؟

أخذ أحمد يمشى هنا وهناك وراء هذه السحابة ليرى أين ستذهب وفجأة نظر أمامه فوجد حديقة جميلة وسط هذه الصحراء الشاسعة.

ونظر أحمد فوجد أن السحابة توقفت وأفرغت ماءها كله فى هذه الحديقة.

وبعد دقائق وجد رجلاً طيبًا يدخل الحديقة ويوزع الماء الذى نزل من السحابة على كل أحواض الحديقة.

فدخل عليه أحمد وسلم عليه وقال: ما اسمك أيها الرجل؟

فقال له الرجل: اسمى عبد الله.

فتعجب أحمد وقال: إنه الاسم الذى سمعته من السحابة.

فقال له الرجل: هل سمعت اسمى فى هذه السحابة؟

قال أحمد: نعم.. لقد سمعت صوتًا يصدر من هذه السحابة التى أفرغت ماءها فى حديقتك يقول: اسق حديقة عبد الله.. فماذا تصنع فى هذه الحديقة؟

قال عبد الله: عندما أجمع المحصول فإنى أقسمه ثلاثة أقسام:

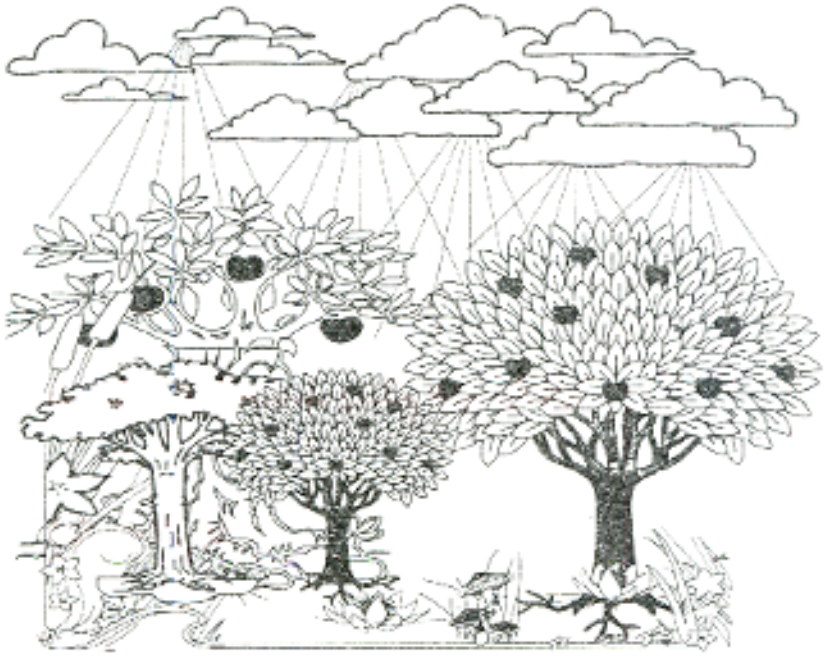

أعطى الفقـراء الثلث.. وآكل أنا وأهل بيتى الثلث.. وأزرع الحديقة بالثلث الأخير.

قال أحمد: لهذا بارك الله لك فى حديقتك وأرسل لك تلك السحابة لتسقى حديقتك.

* ولقد ذكـر النبى ﷺ هذه القـصة دون الأسـماء والتفاصيل التى ذكرتها لتبسيط القصة لحبايبى الحلوين.

قال ﷺ: «بينا رجل بفلاة من الأرض، فسـمع صوتًا فى سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحَّى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه فى حرَّة، فإذا شـرجة من تلك الشراج قـد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم فى حديقته، يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبـد الله ما اسـمك؟ قال: فلان... للاسـم الذى سمع فى السحابة.

فـقال له: يا عبـد الله! لِمَ تسـألنى عن اسـمى؟ فقـال: إنى سمـعت صوتًا فى السحـاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حـديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟

قال: أما إذ قلت هذا، فإنى أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالى ثلثًا، وأرد فيها ثلثه»[1].

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤) كتاب الزهد والرقائق.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لابد أن يعمل ليأكل من عمل يده. . فقد قال النبى ﷺ : «**ما كسب الرجل كسبًا أطيب من عمل يده**».

(٢) أن المسلم إذا أنفق على أهله وأولاده فإنه يُكتب له صدقة فقد قال النبى ﷺ : «**ما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة**».

(٣) أن المسلم لا ينسى حق الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل. . . ولقد رأينا كيف أن هذا الرجل كان يتصدق بثلث ماله على الفقراء فأكرمه الله بأن أرسل له سحابة مخصوصة لتسقى بستانه ليزيد الإنتاج فى أرضه.

(٤) أن المؤمن لابد أن يعترف بفضل الله ونعمه عليه.

❊ ❊ ❊

قصة جُريج العابد

كان ياما كان.

كان هناك رجل عابد من بنى إسرائيل اسمه جُريج.

وكان هذا الرجل فى بداية أمره تاجرًا أمينًا يحبه كل الناس ويثقون فى صدقه وأمانته.. ثم زهد بعد ذلك فى التجارة وأحب العبادة حبًّا جمًّا فاتخذ صومعة يعبد الله فيها.

واعتزل جُريج الناس وجلس فى صومعته يعبد الله (عز وجل) فكان يصوم النهار ويقوم الليل.. وظل على تلك الحالة زمنًا طويلاً.

وكان لجريج أمٌّ صالحة تأتى إليه فى بعض الأيام لزيارته ومحادثته والجلوس معه.

وفى يوم من الأيام جاءت إليه وقد اشتاقت لرؤيته فأخذت تنادى عليه.. وكان جريج يصلى فى هذا الوقت.. وبدلاً من أن يرد على أمه استمر فى صلاته ولم يُجب نداء أمه.

لقد كان الواجب على جريج أن ينصرف من صلاته، ويجيب نداء أمه، فإجابة الأم أولى من صلاة النافلة، وكان يمكنه أن يخفف صلاته، ويبادر بإجابة أمه، ولكنه قدَّم صلاته على إجابة أمه، ويبدو أنه كان يجد للصلاة حلاوة في قلبه، تُغريه بعدم ترك الصلاة لأي أمر من الأمور.

* وذهبت الأم وهي غاضبة لأن ابنها لم يرد عليها.

وعادت في اليوم التالي وهي في أشد الشوق لرؤيته فنادت عليه فلم يرد عليها؛ لأنه كان مشغولاً بالصلاة فعادت الأم أيضًا وهي غاضبة، ثم عادت إليه في اليوم الثالث ونادت عليه فوجدته يصلي فلم يرد عليها.

فما كان منها إلا أنها دعت عليه أن لا يُميته الله حتى يرى وجوه البغايا (النساء السيئات).

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن أم جريج لو دعت عليه أن يُفتن لفُتن.

ونحن نعلم أن الله (عز وجل) إذا أراد شيئًا فإنه يُهيئ له أسبابه.

فقد أخذ بنو إسرائيل يتذاكرون جُريجًا وعبادته فأرادوا أن يفتنوه وأن يجعلوه يقع فى معصية الله (جل وعلا).

فأخذوا يبحثون عن امرأة تغويه، فوجدوا امرأة فى غاية الحسن والجمال فقد كان الناس يضربون بها المثل فى الحسن والجمال.. وكانت مغرورة وواثقة فى نفسها وجمالها.

فلما ذهبوا إليها واتفقوا معها على أن تفتن جريج العابد، قالت لهم بكل ثقة: إن شئتم فسوف أفتنه لكم.

وذهبت إليه هذه المرأة وتعرضت له فى خلوته وأظهرت مفاتنها له، ولكنه لم يلتفت إليها فأحست بأنه قد أهانها فى جمالها وأنوثتها، فشقَّ عليها هذا الذى حدث فلم تستطع أن تعود إلى القوم لتعلن عن فشلها فى فتنة جُريج.

فما كان منها إلا أنها ذهبت إلى رجلٍ راعٍ كان يأوى إلى صومعة جريج، وتعرضت له وفتنته وأمكنته من نفسها فوقع عليها، وفعل معها الفاحشة، وحملت هذه المرأة من الرجل الراعى فى تلك الليلة، فلما ولدت غلامًا

صغيراً ادَّعت أن هذا الولد من جُريج العابد، وأنه هو الذى فعل معها الفاحشة، ورغم أن بنى إسرائيل كانوا يتمنون فتنة جُريج العابد إلا أنهم لم يكن يخطر على بالهم أن هذا العابد يصدر منه هذا الفعل الذى أخبرتهم به هذه المرأة زوراً وكذبًا.

* لم يعلم أهل القرية أن هذه المرأة كاذبة.. وظنوا فعلاً أن هذا العابد قد فعل معها الفاحشة؛ فجاءوا إليه وهم فى قمة الغضب وأمروه أن ينزل من صومعته، وأخذوا يشتمونه شتمًا قبيحًا فلم يرد عليهم لأنه كان منشغلاً بصلاته... وإذا بهم يضربون الصومعة ويهدمونها بالفؤوس فلما رأى منهم ذلك نزل من صومعته وهو لا يعلم ما الذى حدث ولماذا يفعلون كل هذا؟

أخذ الناس يضربونه ضربًا شديداً وهو يسألهم: لماذا تفعلون كل هذا؟ فأخبروه أن هذه المرأة أخبرتهم أنه قد فعل معها الفاحشة، وأنها قد أنجبت منه ولدًا من الحرام.

فتبسم جُريج لأنه واثق من أنه صادق فى عبادته واستقامته وأن هذه المرأة كاذبة.. فطلب من الناس أن

يعطوه الفرصة لكى يتوضأ ويصلى فتركوه ليتوضأ ويصلى.

فلما صلى وانتهى من صلاته قال لهم: أين الصبى الذى تدَّعون أنه ابنى من الزنا؟.. فجاءوا بالصبى الذى لم تمض على ولادته أيام، فطعنه فى بطنه بإصبعه بكل رقة وحنان وقال له: يا غلام مَن أبوك؟ فأنطق الله الصبى المولود، وقال: أبى فلان الراعى.

فأدرك الناس عِظَم الجريمة التى ارتكبوها فى حق العبد الصالح، وعلموا أن جُريجًا لم يكن من الصنف الذى ظنوه،... لم يكن مُرائيًا ولا مخادعًا، بل كان صادقًا فى تعبُّده وصلاحه، وأن هذه المرأة البغى كانت كاذبة فيما رمته به، وعلموا أنهم تسرعوا فى تصديق التهمة، كما تسرعوا فى إيذاء الرجل، وهدم صومعته، وحاول هؤلاء المتعجلون أن يُكفِّروا عما وقع منهم فى حق جريج، فعرضوا عليه أن يعيدوا له بناء صومعته من الذهب أو الفضة، ولكنه أبَى، وأصر على إعادتها من الطين كما كانت، وكذلك فعلوا، فلما أتموا بناءها، علاها جريج

عائدًا إلى عبادة ربه.

لقد استجاب الله فى جريج دعاء أمه، فحقق ما طلبته، ولكن الله نجاه بصلاحه وتُقاه، وكان فى استجابة الله دعاء أمه ثم نجاته بعد ذلك درسان عظيمان[١].

❊ ❊ ❊

ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلاً عابداً فاتخذ صومعة[٢] فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت: يا جريج.

فقال: يا ربِّ أمى وصلاتى[٣]. فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت: يا جُريج، فقال: يا ربِّ أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت: يا جريج، فقال: أى ربِّ أمى وصلاتى. فأقبل على صلاته؛ فقالت: اللهم لا تُمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات[٤].

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ٢٧٧).
(٢) الصومعة: بناء مرتفع محدد أعلاه.
(٣) أمى وصلاتى: أى هل أجيب أمى، أو أستمر فى صلاتى؟
(٤) المومسات: الزوانى البغايا المتجاهرات بذلك - والواحدة مومسة.

فتذاكر بنو إسرائيل جُريجًا وعبادته وكانت امرأة بغى يُتمثل بحُسنها (١) فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم - قال: - فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيًا كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغى فولدت منك. فقال: أين الصبى؟ فجاءوا به فقال: دعونى حتى أصلى، فصلى فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال: يا غلام! من أبوك؟ قال: فلان الراعى - قال: - فأقبلوا على جريج يُقبلونه ويتمسحون به، وقالوا: نبنى لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا» (٢).

❊ ❊ ❊

(١) بغى يتمثل بحسنها: أى يُضرَب به المثل لانفرادها به.

(٢) أخرجه البخارى (٣٤٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٥٥٠) كتاب البر والصلة.

الدروس المستفادة:

(١) بيان أثر عقوق الوالدين وترك برهما والاستجابة لأمرهما، وأن ذلك قد يكون سببًا لمصائب تحل بالإنسان، كما وقع لهذا العابد الصالح.

(٢) يجب على المصلى ترك صلاة النافلة إذا دعى المصلى أحد والديه لغرض مشروع، فالحديث يفيد أن جريجًا عصى ربه بعدم إجابة أمه.

(٣) محاولة أهل الفجور تشويه صفحة الصالحين الأخيار، كما فعلت هذه المرأة البغى بجريج.

(٤) لا يجوز المسارعة بتصديق التهمة من غير دليل ولا برهان، كما فعل أهل القرية عندما صدقوا ما قالته المرأة الفاجرة فى جريج، وكان الواجب عليهم أن يتحققوا من مقولتها، قبل مهاجمة جريج وسبِّه وضربه.

(٥) قد يوجد عند العباد الصالحين من الثبات واليقين وحسن الظن بالله ما يجعله يواجه الأمور العظام بشجاعة ورباطة جأش، كما فعل جريج.

(٦) شأن الصالحين أن يفزعوا إلى الصلاة عند نزول الكرب والبلاء.

(٧) إنجاء الله للعبد بصلاحه وتقواه، كما أنجى جُريجًا وبرَّأه من التهمة التى رُمى بها.

(٨) قدرة الله على إنطاق من لم يعهد النطق من أمثالهم، كما أنطق هذا الغلام الصغير، فبرَّأ جُريجًا.

(٩) فى الحديث إثبات كرامات الأولياء.

(١٠) عاقبة الابتلاء إلى خير إذا صبر العبد واتقى ربه، فجريج بعد بلائه كان أفضل عند الناس وعند رب الناس منه قبل الابتلاء[١].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح القصص النبوى (ص: ٢٧٧-٢٧٨) بدون ترتيب.

قصة المتكلم فى المهد الذى دعا الله أن لا يجعله كالجبار

فى يوم من الأيام جلس النبىُّ ﷺ مع أصحابه ليحدثهم عن الثلاثة الذين تكلموا فى المهد . . فأخبرهم أن أولهم كان نبى الله عيسى (عليه السلام) وثانيهم جُريج العابد وثالثهم هذا الطفل الذى سنحكى لكم قصته.

* وهنا يخبرهم النبى بقصة هذا الطفل الرضيع الذى تكلم فى المهد. وتتلخص قصة هذا الطفل فى أنه كانت أمه تجلس به على قارعة الطريق تُرضعه فمرَّ أمامها رجل غنىٌّ يبدو عليه أثر الغنى والثراء، فهو يلبس ملابس أنيقة ويركب دابة فارهة . . وفوق ذلك فهو جميل الشكل والمنظر قوى الجسد والبنية. . فأُعجبت الأم بمنظر هذا الرجل فقالت: اللهم اجعل ابنى مثله.

وإذا بالمفاجأة التى لا تخطر على قلب بشر . . لقد ترك الطفل الرضيع ثدى أمه ونظر إلى هذا الرجل وقال:

اللهم لا تجعلنى مثله.

ثم عاد مرة أخرى يرضع من ثدى أمه .. فتعجبت الأم من فعل هذا الطفل الرضيع.

وبعد وقت قصير مرَّ على هذه المرأة وطفلها جماعة من الناس يجرون جارية ويضربونها ضربًا قاسيًا وهم يقولون لها: زنيتِ .. سرقتِ .. وهى تقول: حسبى الله ونعم الوكيل.

فقالت الأم: اللهم لا تجعل ابنى مثلها .. وإذا بالطفل الرضيع يترك ثدى أمه مرة ثانية وينظر إلى تلك الجارية ويقول: اللهم اجعلنى مثلها.

فتعجبت الأم من فعل هذا الطفل الرضيع، ثم دار بينها وبين طفلها الرضيع حوار، فسألته أمه عن السبب الذى جعله يدعو ربه (جل وعلا) دعاءً يخالف دعاءها.

فأخبرها هذا الطفل الرضيع الذى ألهمه الله بهذا الجواب، فقال لها: إن هذا الرجل الغنى كان جبارًا كافرًا فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله، وإن هذه الجارية فتاة صالحة قد اتهموها بالزنى وهى بريئة من الزنا واتهموها بالسرقة

وهى لم تسرق، فقلت: اللهم اجعلنى مثلها فى طهارتها وإيمانها وصبرها على البلاء.

❊ ❊ ❊

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة، فقال ﷺ: «بينا صبىٌ يرضع من أمه، فمرَّ رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة[1]، فقالت أمه: اللهم اجعل ابنى مثل هذا، فتركَ الثدىَ، وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع، ومروا بجارية وهم يضربونها، ويقولون: زنيتِ سرقتِ، وهى تقول: حسبى الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابنى مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللهم اجعلنى مثلها.

فهناك تراجعا الحديث فقالت: حَلْقَى[2]، مرَّ رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابنى مثله، فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله، ومرُّوا بهذه الأمَة وهم يضربونها، ويقولون: زنيت،

(١) ذو شارة حسنة: الشارة الحسنة تعنى جمال المظهر فى الهيئة والملبس والمركب.
الجبار: العاتى المتكبر القاهر للناس.
فارهة: قوية.

(٢) حلقى: دعاء مفاده: أصابه الله بوجع فى حلقه، وهو دعاء يقوله الإنسان عندما يُستثار، لا يريد به الإضرار بالمدعو عليه.

سرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابنى مثلها، فقلت: اللهم اجعلنى مثلها، قال: إن ذاك الرجل كان جباراً، فقلت: اللهم لا تجعلنى مثله، وإنَّ هذه يقولون لها: زنيت ولم تزن، وسرقتِ ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلنى مثلها»(١).

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه مسلم.

الدروس المستفادة:

(١) أن الغِنى ليس دليلاً على كرامة العبد عند الله . . وأن الفقر ليس دليلاً على أن هـذا العبد ليس له قدر عند الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١].

(٢) أن العبد قد يتمنى ما فيـه هلاكه وضياعه . . فقد طلبت هذه المرأة أن يكون ابنها مثل هذا الجبار الكافر وهى لا تعلم أن فى ذلك هلاكه . . كما أنها دعت أن لا يكون ابنها مـثل هذه الجارية الصـالحة وكان الخـير فى أن يكون ابنها مثلها.

(٣) أن العبد لا بد أن يرضى باختيار الله له . . وذلك لأن الله (جل وعـلا) أرحم به مـن رحـمـة الأم بطفلهـا الرضيع.

❊ ❊ ❊

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

المرأة التى دخلت النار فى هرة (قطة)

كان ياما كان. . . كان فى بنى إسرائيل امرأة قاسية القلب، لا ترحم أى أحد حولها حتى ولو كان هرة (قطة) ضعيفة وفى يوم من الأيام خرجت هذه المرأة القاسية من بيتها لقضاء بعض حوائجها، فوجدت هرة ضعيفة تسير فى الطريق، فأخذتها ووضعتها فى البيت وأغلقت عليها الباب.

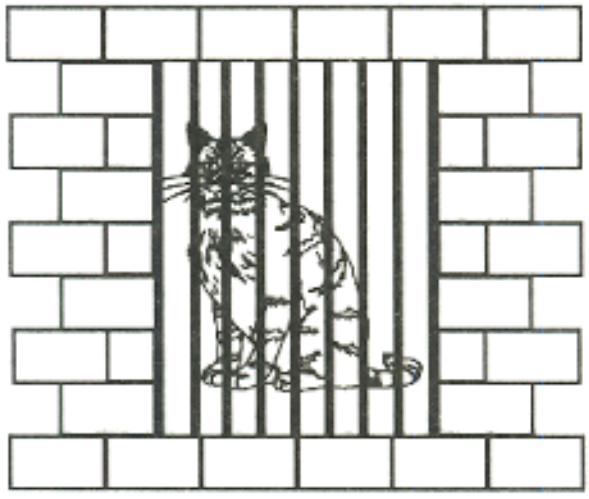

ظنت الهرة فى بداية الأمر أن هذه المرأة سترحمها وتقدم لها الطعام والشراب وتتركها لتنام فى هذا البيت الجميل.

لكن الذى حدث أن المرأة حبست الهرة فى البيت وتركتها بلا طعام ولا شراب.

اشتد الجوع والعطش بتلك الهرة، فظلت تصرخ ليل نهار والمرأة تسمع صوتها ومع ذلك لم تستجب لنداء الهرة ولم ترحمها بأن تأتى إليها بالطعام والشراب أو أن تتركها لتبحث عن رزقها فى مكانٍ آخر.

ولعلها وقد حبستها كانت تموء ليل نهار، وهى تعانى الجوع والعطش، وصوت الهرة فى هذه الحال يحمل الاستجداء والاستغاثة، وهو صوت مميز يدركه العارفون بأصوات الحيوان، ولكن قلب هذه المرأة المتحجر لم يستجب لنداء الهرة، ولم يقبل رجاءها وتوسلها، وبقى الصوت يخفت حتى انقطع، وماتت الهرة تشكو إلى ربها ظلم الإنسان، وقسوته وتحجر قلبه.

لقد كان بإمكان تلك المرأة إن كانت تريد القطة فى

منزلها أن تقدم لها ما يحفظ حياتها من الطعام والشراب، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أننا نؤجر فى الإحسان إلى البهائم، فإن أبت أن تقدم لها ما يحفظ حياتها، فعليها أن تخلى سبيلها، وتتركها تنطلق فى أرض الله الواسعة، فلن تعدم وجود ما يقيتها، ويحفظ حياتها، خاصة وأن الله قد جعل لها رزقًا فيما يلقيه الناس من بقايا الطعام، وما تصطاده من الحشرات والهوام.

فأخبر النبى ﷺ أن هذه المرأة دخلت النار بسبب ظلمها لتلك الهرة ولقد رأى الرسول ﷺ هذه الهرة وهى تهاجم تلك المرأة فى النار، فتُحدث بها خدوشًا فى وجهها وجسدها جزاءً على ما صنعت بها فى الدنيا[1].

❊ ❊ ❊

(١) حكايات عمو محمود / محمود المصرى - الجزء الأول (ص: ٧٠ -٧١) بتصرف.

وقد ذكر النبى ﷺ قصة هذه المرأة، فقال ﷺ: «**دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها، فلم تُطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**».

وقد رأى الرسول ﷺ هذه المرأة التى ربطت الهرة فى النار عندما رأى الجنة والنار فى صلاة الكسوف، ففى صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر أن الرسول ﷺ قال: «**ودنت منى النار حتى قلت: أى ربِّ وأنا معهم؟ فإذا امرأة تخدشها هرة، قلت: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعًا، لا أطعمتها، ولا أرسلتها تأكل من خشاش الأرض**».

❊ ❊ ❊

الدروس المستفادة:

(١) بيان عِظم وزر الذين يعذبون الحيوان ويعتدون عليه بالضرب والقتل، فقد أُدخلت هذه المرأة النار؛ لأنها تسببت فى موت الهرة.

(٢) يجوز للإنسان حبس الحيوانات من القطط والطيور ونحوها إذا قدم لها طعامها وشرابها، فإن عجز عن ذلك، أو بخل عليها بالطعام، فعليه أن يُخلى سبيلها ويُطلقها فى أرض الله الواسعة، تطلب رزقها بنفسها.

(٣) يُعذَّب الإنسان فى آخرته بمثل ما أساء به، فهذه المرأة تُمثَّل لها القطة فى النار تهاجمها، وتخدش جسدها.

الرجل الذى سقى كلبًا فغفر الله له

كان يامـا كان. . . كان فى بنى إسـرائيل رجل طيب كريم الأصل وكان يحب السفر والترحال.

وفى يـوم من الأيام خرج هذا الـرجـل إلـى الصحراء مسافرًا.

وبينما هو فى وسط الطريق إذ اشتد عليه العطش فأخذ يبـحث عن الماء فى كل مكان حـتى وجد بئـرًا ولكن الماء الذى فيه كان بعيدًا فـبحث عن حبلٍ ودلوٍ ليُخرج الماء من البـئر فلم يجـد. . . فنزل بنفسـه إلى أسفل البـئـر وأخذ يشرب حتى ارتوى. . . فحمد الله وصعد من البئر قبل أن تخرج عـليه حيـة فتلدغـه أو يحدث له أى مكروه فـلما

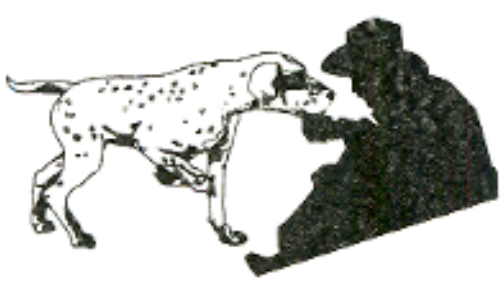

صعد من البئر وجد كلبًا قد عطش عطشًا شديدًا حتى إنه لشدة عطشه كان يمد لسانه فيضعه على التراب الرطب الذى بجوار البئر ليخفف العطش الذى به.

نظر الرجل إلى الكلب وهو على تلك الحالة الشديدة من العطش فتذكر حاله قبل أن يشرب من البئر.

أخذ الرجل يفكر كيف يسقى هذا الكلب... فلقد نزل بنفسه إلى البئر ليشرب ولكن الكلب لا يستطيع أن ينزل... وليس هناك حبل ودلو لينزع للكلب الماء من البئر فماذا يصنع؟

لم يجد الرجل أى وسيلة لإخراج الماء من البئر إلا بأن يخلع حذاءه وينزل البئر فيملأ الحذاء بالماء ويقدم ذلك الماء للكلب. وبالفعل نزل الرجل إلى البئر ولم يستطع أن يحمل الحذاء فى إحدى يديه لأنه كان يحتاج إلى يديه فى نزول البئر والصعود منه فاضطر لحمل الحذاء بفمه فحمله بفمه ونزل وأحضر الماء فى الحذاء ثم خرج ووضع الماء أمام الكلب فشرب الكلب حتى ارتوى... فشكر الله لهذا الرجل وغفر له ذنبه وأدخله فى رحمته وجنته.

* ولقد ذكر النبى ﷺ هذه القصة فقال ﷺ:

«بينا رجل يمشى، فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج، فإذا هو بكلبٍ يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذى بلَغ بى، فملأ خُفَّه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا فى البهائم أجراً؟ قال: «فى كل كبدٍ رطبةٍ أجر»(١).

* * *

(١) أخرجه البخارى (٢٣٦٣) كتاب المساقاة.

الدروس المستفادة:

(١) أن المسلم لا يحتقر أى عمل صالح... فقد يعمل المسلم عملاً يسيرًا فيكون سببًا فى الفوز برحمة الله وجنته.

(٢) أن المسلم كلما كان مخلصًا فى عمله فإن الله يتقبل منه هذا العمل ويجزيه عليه خيرًا فى الدنيا والآخرة... وقد رأينا كيف أن هذا الرجل كان مخلصًا لأنه سقى كلبًا فى صحراء ولا يراه أحد إلا الله (جل وعلا)... بل إنه كان من الممكن أن يموت وهو ينزل البئر مرة أخرى ليأتى بالماء للكلب ومع ذلك نزل ابتغاء مرضاة الله -جل وعلا.

(٣) أن المسلم لابد أن يكون رحيمًا حتى يرحمه الله (جل وعلا). فقد قال النبى ﷺ: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

فلا بد أن يكون المسلم رحيمًا بالناس من حوله وبالدواب أيضًا وبكل ما فى الكون.

(٤) أن يشكر المسلم ربه (جل وعلا) على نعمه التى لا تُعد ولا تُحصى.

فإن هذا الرجل لما شرب بعد العطش الشديد ورأى الكلب يلهث من شدة العطش أحس بنعمة الله عليه أن سقاه فشكر نعمة الله بأن سقى ذلك الكلب.